قرية الجُرذان

آمان السيد

فريق متميزون
E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة يوم الجمعة

قرية الجُرذان

آمان السيد

عن الكتاب..

قص عليها كل ما يريد قوله انتهى من حديثه ليجدها بنفس النظرات الجامدة، قالت له دون أي تردد أو خوف من ردة فعله: لديّ في الداخل جثة فتاة بالية تريد أن تتذوق؟

نظر إليها نظرة إعجاب بحديثها، وسار باتجاه الغرفة على الفور، فعلمت جوابه وسارت خلفه لتفتح له الباب، أما عن "ر" فجلس لا يفهم ما يحدث، ثم استوعب أنهم غادروا الغرفة فذهب إليهم، وجد صديقه يلتهم اللحم وهو يتلذذ يأكل جزء ويشرب المياه ثم يكمل كانت تملؤه نظرات الدهشة والخوف في ذات الوقت؛ لأول مرةٍ يرى صديقه يلتهم أحدًا الأمر مرعب بالنسبة له.

بعد فترة طويلة من حديثهما المتواصل وهو يتناول وأخيرًا التهم آخر قطعة في رأسها وصارت الجثة أمامه عظمًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السُر في البقاء حيًّا رغم كُل المعرقلات

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الإهداء

إلىٰ صاحب المسار المُعاكس

والتفكير عكس عقارب الساعة.

إلىٰ من يُقال عنه:

جاء من سيقلب المكان رأسًا على عقب.

إليَّ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المقدمة

كُل ما يقع على عاتقي يُعد بمثابة تحدٍ ليَّ، الحياة لن تنتظرني كثيرًا حتى أُهندم نفسي وأبدأ، ولكن بحكم ما أنا عليه فيجب أن أحسب كل خطوة.

التحديات تأتي لمثل تلك الأشياء، تهندم كل شيء في لحظاتٍ عديدة، وتحسب أين تضع قدمك، تأخذ كافة الأمور على محمل الجد وتُدقق فيما يحدث حولك، كُل هذا فيما لا يتخطىٰ العشر ثوانٍ، والتحدي الأكبر هُنا

هو أن تكون قاتلًا مُتسلسلًا لجُرذان يلجئون لأي مخبأ أمامهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«الفصل الأول»

نقتل بعينٍ مُرتاحة، لا ننظر للخلف

ولا نهتم بأي شيء، فقط نُسيل الدماء.

« الأول من آب في تمام الساعة السادسة، قبل غروب الشمس بقليل.»

يُدعى هارلان يا سيد يارون، هذا كُل ما علمناه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المكان هادئ كعادته، بدأت البلدة بالعودة إلى خط سيرها والطمأنينة عمّت الأرجاء، الذعر الذي حلَّ بعد أول جريمة قتل في بلدة لا تعرف عن الخوف شيئًا، فضُباط الشُرطة عرضوا مكافأة لمن يعثر على المُجرم، وحينها كُشف عن اسمه من مصدر مجهول قائلًا أنه لا يريد أن يكشف عن هويته لحين أن يُسلَم القاتل للشرطة فيرتاح ويأخذ المكافأة في سلام.

تغيرت نبرة السيدة التي تُخبر الجميع بالأخبار عن طريق المذياع الموجود في كل بيت كشيء أساسي للتواصل في البلدة، قالت ونبرة الخوف تعود إليها رويدًا رويدًا: والحال أن الوضع لم يستمر بالهدوء، جاءتنا معلومات عن تخطيطه لارتكاب جريمة أخرى خلال الأيام القادمة، كونوا حذرين، الوضع لا يحتمل المُزاح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالث عشر من شهر آب، يدق عقرب الساعة معلنًا أن الساعة الرابعة قد أتت، وهذا الموعد المُفضل للسيد لادن لأخذ قيلولة في منزله الموجود في آخر البلدة والذي يُعد من أكبر المنازل وأكثرها موردًا، يتسلل بأصابعٍ ترتفع عن الأرض بخفةٍ واتزان دون إصدار أي صوت، جميع الأنوار مُشعلة ولا يوجد هناك سوىٰ السيد لادن، الخادمة المأجورة بمبلغ لا يكفي طعامها وولده الذي يبلغ من العمر سبعة أعوام، أكمل تسلله حتى وصل لغرفة في الطابق العلوي دلف إليها وأغلق الباب في لمح البصر دون إصدار أي صوت.

نصب عدته، أخذ نفسًا عميقًا وهو ينظر حوله، يعلم أن بعد ثلاثة، اثنين، واحد..

دخل السيد لادن وبيده صغيره، نظر حوله لتجف في أوردته الدماء، يقف في آخر الغُرفة وأمامه الكثير والكثير من أدوات الذبح، منضدة، جهازٌ يضغط عليه فيشعل النار للطهي، وحبل لا يتجاوز المتر، قال لادن وهو يبتلع ريقه بصعوبة: من أنتَ؟

ابتسم الرجل وقال له: طاهيك الجديد يا سيد لادن، أم أنكَ قد نسيت طلبك من الخادمة أن تجلب لكَ شخصًا بارعًا في طبخ اللحم بمقابل ضئيل؟

هدأ لادن ونظر إلى صغيره فقال له: اخرج أنتَ يا صغيري لأقوم بحل الأمر معه ثم تعال مجددًا.

خرج صغيره فالتفت إلى الطاهي وقال له: أعتذر لمنظر الذُعر الذي كُنت عليه، بالتأكيد تسمع عن القاتل الموجود فيما بيننا، أخاف كثيرًا من أي شخص يدخل إلى هنا دون أن يمر عليّ.

نظر إليه وهو يلتفت بعينيه حوله: ولكن كيف وصلت إلى هنا دون أن يشعر أحد؟ علمت غرفتك وحدك أيضًا، وزيادةً على ذلك.. أقول في نفسي أنني رأيتك من قبل، ماذا كنت تعمل؟

ابتسم الطاهي وهو يقول: تعلمت اليوغا، وهي كفيلة لتعليمي كيف أتحكم بحركات جسدي بهدوء لهذا صعدت دون أن أُسبب ضوضاء، فأعلم أنك تعود في هذه الساعة لتُريح عقلك، أما عن معرفتي لمكان الغرفة فقد تم إعلامي به قبل مجيئي، لا لم نتصادف من قبل، كنت أعمل خارج البلدة كنادل في أحد المطاعم.

قالها بخبثٍ ولم ينتظر أن يجيب لادن فقال: لو تريد مني أن أقص لكَ كيف جئت إلى البلدة ولِم، سأقص،

ولكن إن كان عند حضرتكم وقتٌ لهذا.

عاد لادن إلى الخلف خطوتين ليدير له ظهره ويذهب باتجاه الباب مُتمتمًا: سيتحاكى معي أيضًا!

ثم أجابه بصوتٍ أعلى: لا، ليس لدي متسع من الوقت، ولا أريد أن تُنفخ رأسي بمواضيعك التي لا تهمني، التفت لعملك.

ابتسم الرجل بخبث مجددًا، وكأنه كان على علمٍ بطريقة يصمتُ بها هذا السيد، بدأ في إحماء السكينة الأولى ليكمل إحماءً الخمسة الأخريات، انتهى بعد خمس دقائق عند حضور واطسون صغير السيد لادن، فوالده قد أمره أن يصعد للأعلىٰ ويتفقد هل يعمل الطاهي أم يتكاسل، وذلك لانشغال الخادمة في تحضير حمام ساخن له، وجلس ينتظره في الأسفل، مرت دقيقتان ولم يعُد بُنيه، قلق لادن ونادىٰ على الخادمة حتى تأتي لترىٰ لمَ تأخر صغيره، جاءت على عجلةٍ من أمرها حتى لا يبدأ بتوبيخها مجددًا، وقفت أمامه وهي تراعي ترك مسافة ثلاثة أقدام بينهما وقالت: أمرك سيدي، كنت على وشك أن أنتهي من التحضير.

قال لها بنبرة استعلاء وأمر: واطسون صعد إلى الطابق العلوي ليتفقد الطاهي الجديد، ولم ينزل إليّ مرةً أخرى كي يُعلمني ما يحدث بالأعلى، اصعدي لتريه، وإن وجدتِه يتسامر مع الطاهي كعادته الغبية أمسكيه من عُنقه وائتِ به إليّ لأعلمه كيف يتحدث مع من هم أقل منه مجددًا، هيا! أما زلتِ هُنا؟

أومأت الخادمة برأسها وقالت بصوتٍ يُسمع على الأقل: حسنًا، سأفعل كما أمرتَ.

همت بالصعود على الدرج مسرعةً حتى ترى لِم تأخر الصغير كل هذا الوقت، تزامن صعودها مع وقوف الطاهي على مقربة من الباب، شعر بأقدام تخطو مقتربةً من الغرفة فأمسك بسكينٍ حاد جدًا في يده اليُمنى وفي الأخرى مشرطًا، ومع ظهور وجه الخادمة بدا عليها ملامح الذعر ووقفت في مكانها تنظر إلى جسد واطسون المُلقى على الأرض دون وجود قدميه، لم يُسعفها الوقت حتى تصدر صوتًا فقد تلقت طعنة في منتصف رأسها بالمشرط وأخرى أسفل قفصها الصدريّ بالسكين الحاد، فتسطحت الأرض مقتولةً.

أخذ الرجل يُنظف المكان جيدًا ويُكمل الطهي من حيث توقف، كان على وشك إنهاء تسوية قطعة اللحم التي تُطهى، بعدما خبأ جسد الصغير في خزانةٍ توجد في الغرفة، وألقى بالخادمة من النافذة مما جعل السيد لادن يصعد عاليًا بسرعة ليعلم ما مصدر الصوت، ولِمَ لم تعد الخادمة مع صغيره واطسون؟

أخذ الدرج في ثانيتين حتى وصل إلى الغرفة، هَمّ بفتح الباب ليجد أن الطاهي قد حصّر اللحم ووضعه على الطاولة مُعلقًا أسلاكًا كهربية مُلونة بالحبل الذي جلبه معه تُوحي بالهدوء للجالس أسفلها، سأله بعدما تفحص الغرفة بعينيه: لا أرىٰ واطسون ولا الخادمة البغيضة، أين هما؟

قال الطاهي بصوت ثابت وهو ينظر داخل عينيه: جاءت الخادمة مما يقارب الخمس دقائق، كان ولدك يتحدث معي بشغف كبير، أحبني تقريبًا وأنا كذلك، ثارت عليه وقالت له أن يأتي معها للغرفة الثانية ليبدل ملابسه التي اتسخت من الدماء.

برق السيد لادن بنظره قائلًا بلسان طلق: ماذا أتى بالدماء على سترة ولدي! أنا ذاهب لأتفقده، هل حدث به شيء؟

استدار ليخرج من الغرفة ويذهب ليرىٰ واطسون حتى قال له الطاهي: سيبرد اللحم، الدماء على سترته لأنه ساعدني بتقطيع اللحم لقطع صغيره ليس إلا، ولكن اذهب له لتطمئن.

وقف مكانه وعاد بجسده إلى مكان الطاولة وجلس على المقعد الخشبي وهو يقول له: لن أراه الآن، سآكل أولًا.

ابتسم الرجل وكأنه انتصر، يعلم كيف يوقفه عن السير خطوة واحدة، يعلم عن كبريائه مسبقًا وعدم حبه لتلقي الأوامر، تبقت الخطوة الأخيرة.

أمسك السيد لادن السكين في يده اليمنى والشوكة بيده اليُسرى، بدأ بالتقطيع وإذ أن اللحم سمين للغاية فتقطيعه ليس سهلًا إلى حد ما، تذوق أول قطعةٍ وأغرم بمذاقها، أكمل القطعة الثانية وبين كل قطعة والأخرى يمدح في طهو الطاهي الجديد، جسده يثقل ببطء ومع آخر قطعة كان قد شعر بثقل اجتاح جسده فجعله محدود الحركة، فقال له: ما تلك القطعة الرائعة؟ من ثقلها ومذاقها الرائع أظن أنني أريد أن أجلس لخمس دقائق حتى أقف من مكاني، عينتك رسميًا لديّ.

ابتسم الطاهي بمكر قائلًا: على الرحب والسعة يا سيدي، هذه القطعة من جزءٍ ثمينٍ فعلًا، أثمن مما تظن، حتى أنني طهوت لنفسي منها جزءًا وسآكله بعد قليل، لا تخف لم آخذ مما جلبت لكَ، هذه دفعت ثمنها غاليًا.

بعد ثوانٍ معدودة كان السيد لادن قد شُلت حركته تمامًا، يجلس على المقعد تلتف عيناه حول الطاهي ويريد أن يسأل بشدة ماذا يحدث ولا يتحرك لسانه، حلقه يجف ببطء وجسده تنضب منه المياه، في ذلك الحين كان الطاهي يمارس هوايته المُفضلة، أخرج جسد واطسون من الخزانة حينها احتد نظر السيد لادن، حاول أن يتحرك ولكن دون جدوى، لا يقوىٰ أبدًا، تدمع عيناه وهو ينظر بصدمة شديدة، أخذ الطاهي الصغير الميت ووضعه على مقعد، ربطه بالحبل الذي كان يُعلق به الإضاءة نظرًا لعدم وجود الجزء السُفلي له فكان يأخذ الجزء الأعلى من المقعد فقط، ثم أخرج قطعة اللحم الخاصة به وبدأ في تناولها بشراهة، يتلذذ طعمها في فمه، يمضغها وهو ينظر في أعين السيد لادن الذي بدأ بالاختناق، كان الطاهي على علم مسبق بأن ما سيصمده السيد لادن لا يكُمل عدة دقائق، فبدأ بالحديث وهو ينظر في عينيه دون حرج قائلًا: أعجبتك قطعة اللحم أليس كذلك؟ لحم صغيرك، تناولته فعلًا، المذاق رائع وثمين حقًا؟ لأنني أخذت هذه القطعة من أثمن ما لديك.

أخذ قطعةً من جسده بالسكين الذي في يديه ووضعها في فمه وبدأ بالحديث وهو يمضغ، فخرج الحديث مُبعثرًا: أنتَ من فعلت هذا، كلفتني الكثير لأصل إليكَ، كلفتني الكثير لأتعافى من خسارة طفلي، أمرتَ أن يُقتل جميع الأطفال فقُتل جنين داخل والدته وقُتلت معه، أخذتَ طفلي فأخذتُ صغيرك.

تمتم الطاهي وهو ينظر إليه في لحظاته الأخيرة وهو يرتطم بجسده أرضًا: مات الرجل، مات الطفل، هارلان سعيد جدًا.

أحيانًا تكون الحياة بهذه القسوة، تسلب منك كل شيء في لحظة، لا تؤمن بالسعادة الأبدية، فمن المُمكن أن أكون أنا قد وُلدت لأعكر مزاجك وأسلب سعادتك، أحيانًا أكون أنا العقبة في طريقك، وحياتك القاسية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يجلس في منزله يحتسي كوبًا من الشاي الساخن بعد يوم عملٍ طويل، انتهى بأحداثٍ مأساوية لم تكن في الحُسبان، تطل من الخلف امرأة ذات عود ممشوق طويلة القوام، شعرها أسود كثيف كما شعر حاجبيها العريضين، وضعت يدها على كتفه فالتفت برأسه إليها وقال: ديِّم العزيزة، كم اشتقت لكِ اليوم!

ابتسم ثغرها وقالت بنبرة تمزج الحيرة والحُب: وأنا كثيرًا، ولكن أخبرني ماذا جرى يا حضرة الشرطيّ آرام حتى تنزعج كل هذا وتقول كلمات جميلة وأنتَ تعقد حاجبيك؟

تنهد قائلًا: أن أكون شرطيًا في بلدة هادئة ثم تأتي الكوارث تباعًا أمرٌ لا يعرف عن العدل سوى اسمه، عقلي لا يستوعب ما يحدث هذه الآونة، قاتل يظهر فجأة ويخطط بشكل احترافي ولا يترك دليلًا خلفه أبدًا، يكشف عن اسمه ويقتل أناسًا مهمين في البلدة، ماذا يجري؟

وضعت ديِّم يديها حول عنقه ببطء وضمته إليها وهي تقول له: لا تحزن، بل الشكر أن البلدة بأكملها لا تعلم أنك ظابطٌ بعد وأنك لا تظهر كثيرًا فيها، أخبرني بما حدث بمهلٍ قليل.

استرخى بجسده وهو يقول لها: اليوم علمنا أن القاتل هارلان قد عاد، قتل السيد لادن وصغيره والمُربية التي توجد هناك، والمُرعب أكثر أنه أخذ الجزء السُفلي من جسد الطفل، ووجدنا معدات طهي وأجزاء لحم مطهية نعتقد أنه لحم آدميّ.

صُعقت زوجته وفُتح فمها استياءً وقالت: كيف؟ كيف يعني؟

أكمل قائلًا: لا أعلم هل يجب عليّ إخبارك أم لا، ولكن وجدوا أيضًا لسان الرجل غير موجود، ووضع مكانه ورقة كتب فيها «على المرء أن يعرف ما سيخرج من فمه ويحسبه جيدًا، فليس كُل ما يُقال صحيحًا، وهذا درسٌ للسيد لادن؛ حتى يعلم في المرة المُقبلة كيف سيتحدث» أي أنه يسخر منا! لأن السيد لادن بالفعل كان قد مات، سيشيب شعري، لا نستطيع الامساك به، فلا هو يترك دليلًا وراءه ولا نحن لدينا خبرة في تلك الأمور!

صمت يعم الأرجاء، لا تعلم ديِّم ما تقوله الآن ففضلت أن تصمت، وهو أيضًا لا يجد ما يصف الوضع فغادر الغرفة ليجد مكانًا لنفسه يفرغ فيه تفكيره ويعلم

ما سيحدث بعد ذلك.

العدل يوجد في السماء، أما على الأرض فأنتَ في ظلم دائم، إما أن تثأر لنفسك، وإما أن تُأكل قبل أن ترمش عينيك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الرابع عشر من شهر آب، باكرًا.»»

تبعثر المخفر كثيرًا إثر الخبر المُسرب أن القاتل يخطط لثالث جرائمه اليوم وأدلى بأول حرف من اسم الضحية الجديدة، الجميع يتعثر بأقدام الآخرين، الأفكار مُشتتة والسؤال يجُر سؤالًا يطرح بعده بثانية، الأفواه لا تُكمم والإمكانيات في ذاك المكان أقل من أن تكون في مخفر الشرطة، دخل آرام من الباب متجهًا لغرفة السيد يارون الذي أعطاه تلك القضية حتى تكون هي أولىٰ محاولاته لإثبات أنه يُعتمد عليه، ليُعلَن أمام الجميع كشرطيّ أساسي، أغلق الباب من خلفه وجلس دون أن يتلفظ لفظًا واحدًا، ينظر إلى القائد الذي يخبئ عينيه عنه حتى لا تظهر ملامح العجز عن إمساك قاتل في بلدة صغيرة جدًا أمامه، بعد لحظات صمت عابرة قال القائد بنبرة حزم: انظر يا آرام، أمامك أربع وعشرون ساعة حتى تأتي به إلى هُنا مُكبل الأيدي وإلا لن تحصل أبدًا على لقب شرطيّ أساسيّ في هذه البلدة.

وقف آرام وهو يفرُك في يديه، استدار حول مقعد القائد وهو يتمتم: لن تجعلني شرطيًّا أليس كذلك؟

علت ملامح الاستفهام على وجه يارون، أجابه: نعم.

ضحك آرام قائلًا: نحن الاثنان وكُل من هُنا نعلم أنك لست في غنى عني، وأنني شيء أساسيّ لا ينقصني إلا ورقة يُكتب عليها هذا، أنا أبذل قُصارى جُهدي لأجل هذه القضية وإن رحلت لن يُكمل أحد بدلًا عني.

تفاجأ يارون من رده غير المتوقع، فهو شخصٌ هادئٌ في العادة لا يُبدي أي اعتراضٍ لأي شيء يُقال، فآرام شرطيّ مميز ومجتهد، صامت دائمًا إلا إذا استدعىٰ الأمر أن يتحدث، حينها فقط يصدر صوته ويكون في شيء مفيد سيحُل المعضلة كاملةً، أكثر شخص وفي لهذا المكان، لذلك لم يكن المتوقع أن يُهدد بكل تلك الأريحية، فرد عليه القائد متراجعًا عن حديثه: أعتذر يا آرام، انفعلت عليكَ وأنتَ لم تقصر في شيء، خذ وقتك في البحث، الأهم عندي أن يعم السلام في بلدتنا، أن تنتهي حالات الذُعر المنتشرة في جميع البيوت.

ابتسم له وقال: حسنًا سيدي، أنا في الخارج إن احتجت ليّ.

أدار آرام ظهره إليه وسار باتجاه الباب، خرج مُغلقًا إياه ببطء كما يفعل دائمًا، فابتسم قائده لأنه علم أن الأمر قد مرّ بسلام، أكمل السيّر حتى وصل إلى

الشُرفة ليستنشق الهواء النقيّ ويفكر في حلٍ لإنهاء تلك الحوادث ويهدئ من حالة الخوف المُنتشرة بين الرجال والنساء، ويوقف علامات الاستفهام عما يجري في رأس الأطفال، حتى توصلٍ إلى شيء مؤقت ولكن سيُجدي نفعًا، قام في حينها بالصياح بصوتٍ عال قائلًا: آزر، آزر.

صاح عدة مرات حتى قال له صديقه: آزر في مهمة منذ الصباح، من المفترض أن يأتي خلال دقائق.

لم يكمل الحديث حتى آتى آزر من الخارج ومعه عدة رجال مُكبلين، فذهبا باتجاهه حتى يسألاه ماذا فعل ومن هؤلاء الرجال؟

وصلا أمامه فقال صديقه: كيف حالك يا صاح؟ أراك اليوم مُتألقًا وبيدك خمسة عشر رجلًا مُقيدين، ماذا هناك؟

أشار لخمسة عساكر بيده كي يأتوا إلى عنده ويمسكوا بالرجال ليضعوهم في زنزانة، غمز لإحدى العساكر بعينيه ففهم أنه يريد الزنزانة عفنة ذات مساحة ضيقة.

أمسك العساكر الرجال المُقيدين وساروا باتجاه السُلم وهبطوا جميعًا إلى أسفل في الحين الذي كان يُزيح آزر الغُبار من أعلى كتفه وهو يبتسم بانتصار وينظر لصديقه قائلًا بنبرة يتراقص على أنغامها الفخر: لقد عثرت اليوم على هؤلاء الرجال الذين يبعثون القلق في الأنحاء ويخيفون الناس بالقتل إن لم يجلبوا لهم النقود، واعترفوا في الطريق أنهم أخذوا مسار هارلان القاتل لأنهم أتباعه، ولكنهم أغبياء جدًا يتركون الكثير من الأدلة خلفهم ليسوا مثله ولا في دهائه مثلًا، لا أعلم أهو غبيّ أم هذا طعم لنا؟ ولكن في كل الأحوال أنا فرح لأنني أمسكت بأتباع هارلان الأغبياء وقريبًا سأجد دليلًا آخر يصلني به، أنا على ثقة.

ابتسم له آرام قائلًا: من الواضح أنك ستُنافسني قريبًا، تعمل على تطوير ذاتك كثيرًا من فترة وجيزة، أنا ألاحظ هذا.

ضحك ثلاثتهم عندما قال آزر: مُقاتل واحد والمنسوخون كُثر.

قاطع ضحكهم آرام عندما قال له مشيرًا إلى الغرفة التي في آخر الطابق على الجانب الأيمن: تعال خلفي إلى تلك الغرفة، هُنالك الكثير من الاقتراحات علينا مناقشاتها واختيار واحدة فقط لنفعلها.

أومأ برأسه موافقًا فاقترح عليه صديقهم چيوم أن يأتي معهم كي يُدلي برأيه هو أيضًا، فقال له آرام: لا تأتي أنتَ الآن، سأحتاجك في شيء آخر لا تقلق.

شعر چيوم بالإحراج من رده، فليس من عادته أن يرفض المشاركة التي تُعرض عليه، ولكن ابتسم له وغادر المكان وهما الاثنان أدارا له ظهرهما وسارا باتجاه الغُرفة، آزر يسبقه آرام عدة خطوات حتى وصلا إليها، دلفا وأغلقا الباب، جلس آرام على المقعد الكبير الموضوع أمام المكتب المُذهب وجلس آزر على المقعد الصغير الموضوع في الجانب الآخر من المكتب، بدأ آرام في الحديث مباشرةً قائلًا: عندي اقتراحان فقط: الأول هو أن نضع عسكريّ على كُل منزلٍ في الليل حتى يحرس المكان وحتى يغفو أهل البلدة بسلام.

قاطعه صديقه قائلًا: ولكننا بالفعل لا نملك هذا العدد من العساكر، المنظومة كاملةً لا تمثل نصف سُكان البلدة.

أكمل آرام حديثه دون أن يُبالي لما قاله قائلًا: القاعدة الأولى، لا تقاطعني مرةً أُخرى دعني أُنهي حديثي.

تنهد ثم أكمل: أعلم ما أقترح عليكَ، كنت سأقول بعد يغفو أهل البلدة بسلام أنني هاتفت الجينيرال المسؤول عن المدينة كاملةً وطلبت منه بعث عدد من العساكر ليساعدونا، قال أنه سيأخذ وقته في التفكير، فهو ليس في غنى عنهم.

قاطعه آزر ثانيةً غير مكترث لما قال عن عدم حبه لمقاطعة الأحاديث قائلًا: بم سيفكر بحقك! يملك من العساكر ما يُعادل أهل البلدة بخمس مرات، لن يُكلفه الأمر شيئًا.

لم يتركه آرام يكمل حديثه ليرد له فعلته وقال: القاعدة الثانية، إن قاطعتني مرة أخرى سأستبدلك فورًا بشخص آخر وتعلم ما معنى هذا.

صمت بُرهةً حتى يعتذر صديقه له، ولم يخيب رجاءه وقال متأسفًا: لم أقصد مقاطعتك، فقط تضايقت، لا تحزن هكذا.

أومأ برأسه وابتسم له ثم أكمل حديثه قائلًا: لا عليك.

من إحقاق الحق له أن يُفكر في الأمر، فالمدينة كبيرة أيضًا وعدد سُكانها أكثر من عدد ساكني البلدة، وأن يُرسل لنا هذا العدد من الجنود سيسبب له بعض العجز بافتراض حدوث أي جريمة في هذا الوقت.

قال آزر متسائلًا: إذن هذا الاحتمال ضئيل، ما الاقتراح الثاني؟

رد عليه قائلًا: أن أبعثك أنت وچيوم أو أحد رجالنا للمدينة بأنفسكم، ستأتون بشُحنة حديد نضعها على الأبواب والنوافذ حتى نحمي من بالداخل ليلًا وبعدما

تمر تلك الأزمة وتعود الأمور كما كانت، نقوم بإرجاع الحديد ونسترد أموالنا، ما رأيك؟

-أميل للأولى أكثر، لأن العساكر أمام أبواب البيوت تُطمئن الإنسان حتى وإن كان هناك خطر، ولكن في جانب آخر من المُمكن أن يصعد القاتل من نافذة خلفية، أو باب في آخر المنزل، والأكيد أن الجنديّ سيحتاج للنوم، سيغفو في وقت ما حتى لو لبضعة دقائق، أنا في حيرة من أمري، ماذا تُفضل يا آرام؟

وضع يده اليُمنى على رأسه وراح يُمشط شعره بأصابعه، تبدو عليه الحيرة أيضًا، ولكن نهاية التفكير قال: أظن أن الحديد على النوافذ هو الأفضل الآن، نُفكر به حتى نغلق كل منفذ يمكن له أن يعبر منه، ولو وافق الجينيرال لا مانع أن يقف جنديّ أمام باب كل منزل بجانب إغلاق المنافذ، لا ضير في ذلك.

رفع آزر يده وفتح كفه حتى يضرب كفه في كف صديقه، تلاقت الكفوف وأصدرت صوتًا مع حديثه قائلًا: أحييك على تفكيرك، ما زال أمامي الكثير كي أتعلمه منك.

تبادلا الابتسامات ثم استأذن آزر أن يخرج ذاهبًا لمنزله ليعلم زوجته أنه سيذهب في مهمة للمدينة كي لا يُرافقها القلق، ويُسلم على فتاته ويودع صغاره ثم يعود ليرىٰ من سيذهب معه إلى المدينة، أذن له آرام فخرج وأغلق الباب وظل هو على المقعد يلتف به يمينًا ويسارًا يفكر بشتى الأمور ويقلب نفس الموضوع الذي يشغله في رأسه ليخطط له جيدًا، فالخطأ هنا لا رجعة فيه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

« الرابع عشر من آب مساءً، نصف ساعة ويأتي منتصف الشهر».

يدُق الباب ثلاثًا ثم فُتح، دلف إلى الداخل بأقدام تسير ببطء حتى لا توقظ آرام النائم كالقتيل على الأريكة الموضوعة في الغرفة، وصل أمامه وهز كتفه عدة مرات بهدوء حتى فتح عينيه وقال له: ماذا تُريد في هذه الساعة يا چيوم؟ لم توقظني؟ ألا تعلم أن اليوم هو موعد نومي هنا كي أباشر على الجنود؟

ضحك الاثنان على آخر جملة قالها، ثم اعتدل آرام في مجلسه وقال بجدية: ماذا هُناك؟

ردّ چيوم بنفس الجدية: أنا هُنا يا سيدي لأعلمك أنني المُختار لأذهب مرافقًا لآزر، سنسير من هُنا بعد نصف ساعة عند حلول اليوم الجديد، سأُعلمك بكافة التفاصيل ونحن في طريقنا للخارج حتى تُتمم على كُل شيء.

قال آرام وهو يقف ويرتدي قميصه الأسود ويُمسك بخزنة المُسدس ليضعها في مكانها المخصص في بنطاله: هيا بنا، قُلت لي ماذا ستفعلون؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل الثاني

القاعدة الثالثة

لا تتراجع عن البحث

القاتل لا يرمش له جفن،

وأنتَ لا تُغلق عينيك أبدًا.

يظهر على وجهه ملامح الغضب الشديد، مرت ثلاث عشرة ساعة وهو يسير ذهابًا إلى آخر الغرفة ثم يعاود الإياب، يحتد نظره تجاه أحد الرجال الجالسين على الأرض، لا يراه جيدًا بسبب الظلام الدامس ولكن يكفي أنه يتذكر مكانه في آخر مرةٍ رآه مع آخر بصيص شمس بُعث من تشققات الحائط حين الغروب، يسُب ويلعن كُل ما جعله يصل إلى هنا.

-ألم أقل لكَ أن نهايتنا ستكون مُريعة؟ انتهينا جالسين على أرض غير مستوية في غرفة ضيقة ذات رائحة كريهة، لا نرىٰ بعضنا حتى! ألم أقل لكَ ألا نفعل ذلك؟

عم الصمت لدقائق معدودة، لا أحد يُجيب والجميع يُأنب نفسه على تورطه في ذاك الأمر، لا يريدون أن تنتهي بهم الحياة هنا في هذه الزنزانة العفنة، أجاب أحد الذين اقترحوا في البداية الأمر وهو يشعر بالاختناق:

- هدئ من روعك، لم نكن نعلم أن الأمر سيصل إلىٰ هُنا، كنا سنأخذ بعض الأموال ونُرهب العديد من الأشخاص ونرحل فقط، لم ينتهِ الأمر سنفكر في طريقة ما للخروج.

أنهى آخر كلمة وبدأ الدُخان يتصاعد في كُل مكان في الغرفة، الجميع يختنقون ويطلبون المساعدة ويصيحون بصوتٍ عالٍ، ولسوء حظهم أن الزنزانة أسفل بناء الشرطة في قبوٍ مخصص ومعزول من قديم الأزل، طبيعي..

زنازين تُستخدم من وقتٍ مضىٰ عليه الكثير في تعذيب الناس بأبشع الطرق يجب أن تكون معزولة بطريقةٍ ما، وهذه البلدة رغم أنها لم تكن تحتاج إلى ذاك الأمر كثيرًا إلا أنها ورثتهُ، مهما ارتفع صوت نباحهم لا يُسمع، زاد الدُخان حتى استنشقوه كُله وسقطوا أرضًا فوق بعضهم، بصيصٌ من النور قد ظهر حينها وظهر معه هارلان، ابتسم ابتسامته الخبيثة -كعادته- ثم بدأ بجمع الرجال جميعهم في طرف الغُرفة، لم يكن يتبقى الكثير من المساحة في الأساس ولكن كانت مناسبة نوعًا ما لكي يضع فيها أشياءه التي يُريد استخدامها، أخرج

سكينه الحاد بعدما قام بربط كُل الرجال بحبلٍ كُلٍ على حدة، نظر إلى الجُثث الهامدة وهو يُخرج لسانه ويُمرره على شفتيه ويتلذذ، بدأ بمهمته، الأول بلا رأس، والثاني أخذ لسانه الذي كان يقترح به عليهم أن يتخفوا وكأنهم أتباع القاتل، يمضُغ اللحم بشراهة وبين الحين والآخر تخرج منه ابتسامة انتصار ولذة، جميعهم على الأرض بعضوٍ ناقص، نظر إليهم بعدما انتهى من تقطيع الجُثث وانتهاء وجبة غدائه، ثم أخرج كأسًا من حقيبته الموضوعة خلف باب الغرفة، وبدأ بتجميع الدماء فيها واحتساءها مع آخر قطعة لحم من الرجل الذي قال «لم أكن أتوقع أن نهايتها ستكون بهذا السوء»، وكتب بما تبقى من الدماء في الكأس على الحائط: لا أُعين الأغبياء ولا أحتاج لأحدٍ معي، أما عن الشرطيّ الذي يحاول الوصول إليّ، انتظر قليلًا بعد، كلما تأخر الوقت كُلما خططت جيدًا، لا أُحب من يتدخل في عملي، وأنتَ فعلت ذلك، شأوك قادم، وداعًا.

مع تحياتي: هارلان (ابتسامة حُب، ومكر).

انتهى من الكتابة وجمع بعض اللحم المنثور على الأرض ووضعه في حقيبته ليكون هو وجبة عشاءه اليوم، يُكافئ نفسه أن الأمر تم بتلك السهولة، وقبل أن يُغادر بصق عليهم جميعًا ثم خرج من نفس المدخل الذي دلف منه.

قبل خمس دقائق كان قد عاد آرام من الخارج بعدما ودع صديقيه ووقف بعيدًا ليتأكد أنهما استقلا عربة الشرطة الخاصة بهم واتجهوا نحو المدينة بسلام.

سار إلى غُرفته ليُكمل قيلولته القصيرة حتى يأتي السيد يارون ليتحدثا في كافة الأشياء حول القضية، ما سيحدث بعد الآن وما الخيوط الموجودة بين أيديهم ليستطيعوا أن يصلوا إلى القاتل حتى تُقفل تلك القضية وتنتهي المسألة دون إطالة الأمر، وصل إلى غرفته وآتى خلفه إحدى العساكر قائلًا: سيد آرام علينا أن ننزل للأسفل لنرىٰ هؤلاء المجرمون، نستمتع قليلًا بتعذيبهم حتى لا يكرروا ما فعلوا، ولنستجوبهم استجوابًا كاملًا ونعلم ما سنفعل بهم.

أجاب عليه آرام: اهبط أنتَ وخذ معك عسكريين آخرين حتى لا تكون بمفردك وهم عدد أكبر، أنا لست قادرًا على الحراك الآن أريد أن آخذ قيلولتي في سلام حتى يأتي يارون.

أومأ الجنديّ برأسه وغادر مستجيبًا لحديثه، وفورما خرج من الغرفة أغلق آرام الباب خلفه وخلع سُترته وألقىٰ بجسده على الأريكة، تأوه قليلًا لأنها لم تكن مُريحة ولكن يريد النوم أكثر ما يريد التفكير في أمر الراحة عليها، أغمض عينيه وراح في نومٍ طويل، لم تكن قيلولة كما زعم وقال.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«آزر»

نسير في الطريق إلى المدينة، العربة مُتعبة لكونها عربة بلدة لا تصلح كثيرًا للخروج بها لمدينة كمثل التي ذاهبين إليها، ولكن لا بأس، نصل إلى هناك ونطلب من الچينرال أن يأتي بعربة مناسبة لنا ولأثقالنا التي سنعود بها من هنا، چيوم العزيز الذي أخذته معي كي يؤنس رحلتي ويساعدني غفا بعد أول نصف ساعة وكأنه لم يرَ النوم قط، العساكر فقط مستيقظون، حاولت أن أتواصل مع زوجتي كثيرًا ولكن في أطراف البلدة لا يوجد ما يُدعى بالشبكة الاتصالية، تنعدم هُنا تمامًا، يفتقر هذا المكان للكثير من الأشياء وأبسطها، نحتاج على الأقل خمس سنوات حتى نواكب أول تطورٍ للمدينة، ليس ما هي عليه الآن، بل أول تطور وصلت له بعدما كانت بلدة صغيرة، وأول ما سنفعل عندما نصل لذاك التطور أن نجلب مياه نظيفة وحياة كريمة لكل من بها.

بعد مرور ساعتين وثلاث وأربعين دقيقة وصلنا تقريبًا لأول المدينة، استيقظ چيوم من نومه أخيرًا واستوعب أننا لسنا في بيته وهو لا ينام على سريره الآن، ضحكنا عليه عندما فتح عينيه وهو يقول:

«حضري لي الطعام يا حبيبتي، لأذهب لأتحرى عن قضية اليوم.»

ثم انتهى الأمر بالصمت لننظر ببلاهة كما نفعل في كل مرة نأتي إليها ونُمتع أعيننا بأشياءٍ لا نراها إلا في المواسم فقط، الأنوار هُنا ساطعة بشكلٍ كبير، نرىٰ الناس بوضوح ليس كما البلدة التي نرى فيها بعضنا بشكل ضبابي، عربتنا بجانب العربات السائرة بجوارنا لا شيء، لا تظهر من الأرض حرفيًا، حتى الملابس تختلف، أنا كشرطيّ أخاف أن أتحدث مع أحدٍ هُنا بهيئتي تلك، لن يصدقوا أنني أعمل في الشرطة من الأساس، كُلما جئت هنا أرىٰ أننا لا شيء، أريد أن أعيش هنا ولكن حتى هذا لا أستطيع فعله.

وصلنا إلى مبنى كبير جدًا، تنظر إليه برأسٍ مرفوعة إلى أعلى ولا ترىٰ آخره أيضًا، يأتي علينا جُندي من بعيد يرتدي بدلةً لا نراها في بلدتنا وتُعتبر أفضل مما أرتديها أنا مع فرق الرُتب التي نحن عليها، قدمه تُزين بحذاءٍ مُدبب من الأسفل وذي عُنق يرتفع ثلاثة سنتميترات، وما يزيد عليهم ارتداءه واقي رصاص، البُندقية تُعلق في ظهره وفي يديه لاسلكي ليسهل التواصل عليه، وصل إلينا مبتسمًا ثم قال: أهلًا بكم في مدينتنا، الچينرال في انتظاركم بالأعلى، سأرافقكم حتى نصل إلى هُناك.

بادلناه التحية ثم سرنا معًا على استقامة واحدة، يقدر ذاك الجنديّ الفارق بيننا في الرُتب رغم اختلاف الفارق الاجتماعيّ، دلفنا من بوابةٍ كبيرة مصنوعة من زجاج سميك، فُتحت عندما كنا على قرابةٍ منها عندها ظهرت علامات الدهشة على وجه چيوم وسأل الجنديّ فور عبورنا البوابة: كيف فُتحت؟

أجاب الجُندي بصدرٍ رحب: مُبرمجة على أن تُفتح عندما ترىٰ وجود أي شخص يقترب منها يا سيدي.

سأل مجددًا بنفس الدهشة والتعجب قائلًا: كيف ترىٰ؟

فأجابه بابتسامة تُخفي ملامحه الجادة نوعًا ما: بها كاميرات صغيرة جدًا يا سيدي، تصور لها كُل من يقترب.

هز رأسه بأنه قد فهم الحديث ثم شكره لأنه شرح ذلك ببساطة، أكملنا السير بعدها ونحن ننظر حولنا للمكان المطلي بألوانٍ تبعث الهدوء والجدية لمن ينظر إليها، ولشكل الرخام الرائع الذي نسير عليه، لكاميرات المراقبة في كافة الأماكن وللإنارة، لملابس الناس الباهظة جدًا علينا، أقل شخص هُنا يعادلنا جميعًا في بلدتنا، بعد سيرٍ دام خمس دقائق وصلنا أمام المصعد الإلكتروني أو كما أُسميه «مصعد الأُمنيات» ولأنها ليست المرة الأولى ليّ هنا كنت أعلم أنه سيقوم بوضع بطاقة بيده على جزء شفاف في الباب وسيُفتح بعدها، ولكن من معي كانوا يُدهشون مع كل حركة جديدة، يسألون عن كل شيءٍ، دلفنا وچيوم ما زال يستوعب الأمر وأننا سنصعد بهذا الشيء لأعلى وكأننا طائرون، نرىٰ الجميع لأن الأبواب جميعها بها نسبة شفافة ولكنها سميكة، وضع الجنديّ إصبع البنصر على مكان البصمة وضغط على رقم ثمانية عشر في شاشة إلكترونية التقطها بيده فور دخولنا للمصعد، بدأ المصعد في الصعود ومع مرور ثلاث ثوانٍ كنا قد وصلنا، خرجنا من المصعد لنذهب باتجاه غُرفة الچينرال نظرت حينها لچيوم الذي ما زال واقفًا في مكانه يقول لجنديٍّ مرّ من أمامه: صعدنا في ثلاث ثوانٍ، كيف هذا؟

أجابه الجنديّ وهو يسير باتجاه معاكس له: هذه التطورات الجديدة هُنا، ستعتد لا تقلق يا سيدي.

ثم أكمل مسيره وهو يضحك دون إصدار صوت، فأتى چيوم باتجاهنا وأكملنا السير حتى وصلنا أمام باب كبير يختلف عن جميع الأبواب الموجودة، مطليٌّ باللون الأزرق الداكن وبه أجزاءٌ فضية، تقدمنا الجُندي خطوات قليلة ليأخذ الحاسوب المُعلق جانبًا، ظهرت العديد من الأشياء التي لم أفهمها ثم مرره علينا حتى ننظر به ليتعرف على أشكالنا، وضعنا أيضًا إصبع الإبهام كبصمةٍ مخصصة للزوار الغرباء من نفس المنظومة، ثم أكمل كتابة عدة أشياء وقال لنا أن نجلس على المقعد الموضوع بجانب الباب حتى يُسمح لنا بالدخول، ذهبنا جميعنا لنجلس، كُنا عشرة أشخاص والمقعد كان صغيرًا لا يكفينا جميعًا، جلس عسكريان وچيوم وقلت لهم أنني أحب الوقوف مع وجود رغبة داخلي للجلوس؛ فأنا مُرهق، رآنا الجنديّ وهو يكتب على الحاسوب فتركه مكانه

وآتانا متسائلًا لِمَ لم نجلس بعد؟ فتحدث أحد العساكر بعد أن سمحت له قائلًا: المقعد صغير كما ترىٰ.

استأذن الجنديّ چيوم والعسكريين أن يقفا لثانيتين وقام بالضغط على إحدى الأيقونات في اللوحة الإلكترونية الموجودة في المقعد فتمدد المقعد تلقائيًا وأصبح يسعنا جميعًا، جئنا لنجلس بعدما ابتعد الجُنديّ من أمامه فقال لنا مسرعًا: انتظروا سيهيئ نفسه ثم اجلسوا.

وغادر ليكمل عمله على الحاسوب، تفقدته وهو يسير حتى وقف في الجانب الأيسر للباب الكبير ضغط بقدمه على الأرض وابتعد قليلًا فوجدت الأرض تُفتح وشيءٌ ما يخرج منها، خرج على هيئة مستطيل مسطح ثم بدأ أن يُفتح وما لبث ثانية حتى كان مقعدًا يُناسب الجنديّ، أعلم أن المدينة في تطور مستمر ولكن تفاجأت عندما رأيت هذا الشيء، التفت بنظري عندما تحدث أحد العساكر بصوت ينم على أنه فرح: تعال اجلس يا سيدي، ستسترخي.

جلست لأجد المقعد اختلف عما كان عليه، كل شخصٍ صار وكأنه يجلس في مقعد منفرد، الأطراف أصبحت بارزة ومُلتفة لتضع عليها يدك وأمامك شاشة إلكترونية تعرض أهم إنجازات الچينرال من حين تعينيه، تتعرف على الجرائم التي حدثت في المدينة من حين وجوده وكيف تم حلها وأشياء أخرى مُفيدة بالنسبة لنا، جلسنا ما يُقارب ساعة حتى ندخل إلى الچينرال، قال لنا الجنديّ أنه يعقد اجتماعًا مهمًا لذلك استغرقنا كل هذه المدة، وبعدما انتهى ذهبنا جميعًا باتجاه الغُرفة وفُتح الباب، دلفنا إلى الداخل لنعجب مما نرى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

“چيوم”

الغُرفة كبيرة بشكل لم نكن نتخيله، تُعادل أربع إلى خمس غرفٍ من غُرف القسم لدينا، في بدايتها مقاعد كثيرة في الجانب الأيمن منها وأمام كل واحدة منهم منضدة خاصة بها، أظن أنهم خصصوها للاجتماعات العادية، لأنها مقارنةً بالجانب الأيسر في بداية الغرفة أيضًا لا تُقارن، فالمقاعد مُريحة بشكلٍ أكبر وهذا هو الظاهر عليها وأمام كل مقعد طاولة أكبر وحاسوب والغريب وجود ثلاجة صغيرة في نهاية كُل الطاولات، ولأنني لا أستطيع الصمت طويلًا وينتابني الفضول حول هذا الأمر فسألت الجنديّ المرافق لنا، صُدمت -وهذه كلمة قليلة- حيال ما سمعت، قال لي أن الچينرال أمر بوضع ثلاجة صغيرة لكل فرد وملأها بالكثير من المشروبات والوجبات الخفيفة الصغيرة حتى يُفكروا بذهن صافٍ، لأن هذا المكان مخصص للاجتماعات الهامة للأفراد المهمين كما توقعت، ويستمر لأوقات طويلة أيضًا، كم أن هذا الچينيرال البغيض يُميز الأشخاص تبعًا لنظرته الخاصة فقط.

أكملنا السير لدقيقة كاملة حتى وصلنا لآخر جزء في الغرفة، قال لنا الجنديّ حينها أن هذا المكان مخصص للأشخاص الآتيين لطلب المساعدة من منظومة الشُرطة، جلسنا كُل منا على مقعد، حينها كففت عن الانبهار، كُل ما هو غير مألوف واردٌ هنا.

دلف الچينيرال حينما جلسنا لم نستغرق وقتًا لانتظاره، هيئته تجعلك تهابه رُغمًا عنك، ألقينا عليه التحية فردها بابتسامة مُهيبة، ثم بدأ في الحديث مباشرةً قائلًا: ماذا هُناك؟ سمعت اقتراحكم من الجنديّ عندما أرسلتموه إلينا ولكن أريد أن أفهم بالتفاصيل ما المطلوب منَّا.

اعتدل آزر في مجلسه وقال: شكرًا لحضرتكم أنكم قبلتم أن تقابلونا، هذا بدايةً، أما مطلبنا، نريد من سيادتكم أن ترسلوا معنا عددًا من سبائك الحديد، ليس عددًا هائلًا منها لأن بلدتنا صغيرة.

صمت لبرهة ثم أكمل: لن نأخذه لوقتٍ طويل، حينما تمر تلك الأزمة التي تمر بها البلدة سنعيد لكم الحديد منصهرًا وأعيدوه كسبائك مرةً أُخرىٰ، فكما تعلم سيادتكم أننا لا نملك ما نستطيع صهره به، ماذا تقول حضرتكم؟

استغرق في التفكير ما يقارب العشر دقائق، يُمسك حاسوبًا يكتب عليه قليلًا ثم يضع سماعة في أذنه ويتحادث مع شخص آخر بلغة معظمنا لا يفهمها، نجلس جميعنا صامتين نترقب ما سيقول ونحن نتبادل نظرات القلق بيننا، وأخيرًا ترك الحاسوب وأغلق السماعات، وتحدث مطولًا مع آزر بنفس اللغة التي لا أفهمها، رأيت ابتسامة منه فشعرت أن الأمر على وشك أن يكتمل، انتهوا من الحديث فقال لي آزر: وافق، بشروطٍ معينة سأقولها لكَ في طريق العودة وسأُعلمك بالسبب أيضًا.

أومأت برأسي وقلت له: الشكر أنه وافق، حسنًا سأنتظر.

أمرتُ بعدها عساكرنا أن ينزلوا إلى أسفل مرافقين جنديّ الچينيرال حتى يعلموا أي العربات التي ستذهب معنا للبلدة محملةً بالسبائك، ولما نزلوا استأذنا من الچينيرال وخرجنا من الغرفة بعدما ودعناه وأكدنا امتناننا لما فعل معنا اليوم، وأننا لن ننسىٰ له هذا الأمر، وأضفنا أنه أنقذنا من مشكلة كبيرة.

مدحناه كثيرًا حتى ملَّ منا فقال لنا: أشكركم، اذهبوا الآن كي تلحقوا بالسبائك قبل أن تُوضع في العربات لتروا متانتها.

ونحن على سُلم المبنى سألت آزر ماذا تحدثا وما تلك اللغة؟ لأنني لا أعلمها.

فقال لي أنهما تحدثا بكم سيعطيهم سبائك وكيفية إرجاعها فيما بعد، وتحدثا عن مقابل يريده الچينيرال، سألته في نفس الثانية عما أراده؟

أجاب مبتسمًا: أرادني معه فيما بعد.

رفعت له حاجبًا واحدًا وأنا أقول له: كيف يريدك؟ هل وافقت؟ ستتركنا؟

انهمرت عليه بأسئلةٍ كثيرة حتى قال لي: يريدني أن أنتقل إليهم بعد مرور تلك الأزمة التي نمُر بها، لم أعطه جوابًا محددًا وقُلت له أنني سأفكر وأعاود الرد عليه، وتلك اللغة التي تحدثناها تعلمتها في فترة دراستي، بطريقة ما تعلمت خارج البلدة وهذه كانت أول الأشياء إفادةً لي فهي بمثابة لغة غامضة بين الدارسين في الجهات الشُرطية بكافة أنواعها.

تبادلنا النظرات دون تعليق مني على حديثه رغم وقوف الكلمات في حلقي، لا أرىٰ الوقت مناسبًا لأي شيء مما يطلبه الچينيرال، أراه مستغلًا بمعنى الكلمة.

«آزر».

أشعر بسعادة كبيرة داخلي لا ألحظها على وجه چيوم وأعتقد أنه لم يشعر بالفرح حيالي، ولكن الفرصة لا تُكرر ولن أرفضها بكل تأكيد، حلمتُ كثيرًا أن أصل إلى هناك، أن أُنتشل من تلك البلدة اللعينة، وها هو الحُلم على وشك التحقيق.

كُنا على السُلم حينما تحدث معي چيوم حول ما قاله لي الچينيرال، لم أخبره بالحيلة التي قُمت بها ليكتمل اليوم دون معضلات، ونحن الآن في طريقنا لرؤية الشاحنات التي تُحمل بسبائك الحديد، أخبرني الچينيرال أنه سيُخصص عربة لنا لتُقلنا إلى البلدة حتى تكون مريحةً أكثر، لم أقل لچيوم لأني أستمتع برؤية تعابير المفاجأة والدهشة على وجهه كُلما رأىٰ شيئًا غير مألوفٍ بالنسبة له، يكون مُسليًا حينها.

وصلنا أمام مكان السبائك فوجدنا شاحنة واحدةً ليس إلا، تمتاز بكبر حجمها فتصعد إليها بسُلم مُعلق، فُتح بابُها وألقينا نظرةً على كُل شيء موجود، السبائك والأدوات التي سنستخدمها في وضعها على أبواب ونوافذ البيوت، ووجدنا بعض الألوان لنطلي السبائك قبل وضعها إن أردنا وآلة الصهر والتشكيل وكانت هي أكبر شيء موضوع في الشاحنة، سألنا عن كيفية تشغيلها فأجاب أحد الجنود أن الحاسوب الخاص بها وبكيفية استعمالها يوجد بجانبها، وأيضًا قال لنا إن تعثرنا بشيء نبعث لهم من نفس الحاسوب وسيجيبنا على الفور، شكرناه وذهبنا جميعنا باتجاه العربة التي ستقلنا إلى البلدة إلا چيوم ذهب باتجاه عربتنا التي أتينا بها، كان كافة الجنود على علمٍ مني عن العربة الجديدة، ضحكنا جميعًا عندما وصل إلى أمام العربة القديمة ونظر خلفه فوجدنا في الجهة الأخرة نلوح له أن يأتي إلينا، جاء مهرولًا وعلى

وجهه علامات استفهام تجعلني أبتسم، وصل إلينا وما لبس أن استنشق هواءً لينتظم نَفسه وتفوه بصوتٍ غاضب: ماذا تفعلون هُنا؟ العربة في الجهة المقابلة.

فقلت له وأنا أشير بإصبع الإبهام على العربة التي نقف جوارها: تلك هي العربة التي سنذهب بها إلى بلدتنا، أمر الچينيرال بهذا وأنا وافقت.

سألني مباشرةً بامتعاض لِمَ لم أقل له ونحن على السُلم أو في طريقنا إلى الشاحنة، فبررتُ له أني أُحب تعابير وجهه عندما يندهش، صعدنا بعدها العربة واحدًا تلو الآخر وكالعادة كانت تعابير الدهشة على وجه چيوم هي الأمتع على الإطلاق، راقبناه جميعنا وهو يتفحص كُل شيءٍ طوال الطريق ويسأل مرارًا وتكرارًا عن ما يُثير فضوله كثيرًا.

وصلنا إلى البلدة ولن أقول أخيرًا لأننا استمتعنا كثيرًا بالطريق، وزاد الأمر مُتعة راحة العربة، فلم نشعر بطول الوقت ولا بعرجلة الطريق، سنذهب الآن نحو المكان الذي أبلغني به آرام قبل ذهابنا لصهر السبائك وتشكيلها، ثم باتجاه البيوت لنضع على أبوابها ونوافذها الحديد المُشكل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ما زال آرام نائمًا كما هو، لم يستيقظ رغم الجو المُرعب من حوله، الجميع يسير في الطُرقات ليبلغوا بعضهم بدخول هارلان المخفر بكل بساطة، ولأن آرام صارم جدًا في أمر نومه وإيقاظه منه لأي سبب كان لم يجرؤ أي شخص أن يُوقظه من سباته، إلىٰ حين وصول يارون على أثر الخبر الذي ذيع في البلدة بأكملها، فتح الباب بقدمه فأصدر صوتًا عاليًا أيقظ آرام في حينها، فتح عينيه بسرعة ليرىٰ من قد تجرأ وأيقظه فوجده رئيسه فلم يتحدث لأنه يعلم أنه لن يوقظه إلا في ظروفٍ قاسية، اعتدل في مجلسه وفرك عينيه حتى فتحها بشكل كامل، قال يارون بانزعاج يظهر على ملامح وجهه ونبرته: ألم تعلم ما حدث؟ نائم لا يهُمك أي شيء والخارج كُله نار.

ردّ عليه آرام وهو لا يفهم شيئًا مما يقول: لا، لا أعلم، لم أسمع بما حدث، كُنت نائمًا.

قال وهو يسير يمينًا ويسارًا في أنحاء الغُرفة: قُتل المجرمون الذين أمسك بهم آزر اليوم، قتلهم هارلان.

ظهرت ملامح الصدمة على وجه آرام، فُزع وقفز من على الأريكة قائلًا: ماذا! ماذا تعني بقتلهم هارلان! كيف دخل إلىٰ هنا؟ دخل وأنا في المكان والجنود، دخل مكاننا ونحن فيه ولم نستطع الإمساك به!

تعرّق آرام ووضع كفيه على وجهه فغطاهما، جلس يارون وقال له أن يجلس لأن الأمر لم ينتهِ بعد، قال يارون بعدها: عرفتُ ما حدث من مذياع البلدة، قالت المُتحدثة أنه قتل كُل من كان في زنزانة الحجز اليوم، لأنهم عملوا تحت اسمه وهم ليسوا تابعين له، عندما وصلت هُنا نزلت إلى أسفل مباشرةً لأرىٰ ما جرىٰ، ولكن كنت قد تأخرت فالعساكر كانوا قد أخذوا ما تبقى من جثامين الذين قُتلوا إلى مشرحة البلدة، وقالوا ليّ أن أجزاء من أجسامهم لم تكن تُوجد، المكان في الأسفل له رائحة كريهة جدًا أمرت بتنظيفه وغلقه للأبد.

صمت لدقيقتين ثم أكمل حديثه مترددًا: وترك القاتل رسالة لكَ.

انتفض آرام من مكانه للمرة الثانية ونظر في عينيّ يارون ليعلم هل يُمازحه أم لا فوجد ملامحه جادة فقال: ماذا تعني بترك لي رسالة؟ من أين يعرفني! ولِمَ أنا؟

أجاب يارون بصوتٍ مُهتز: قال لي أحد جنودنا أنه عندما أمرته أن يهبط إلى أسفل ليرىٰ ما يحدث، فتح باب الزنزانة وكانت تتطاير منها رائحة كريهة جدًا، صُدم من منظر الجُثث التي توضع أمامه، غادر المكان فورًا وصعد لأعلى ليُعلم البقية، بعدما تلقوا الخبر بقوا خائفين لنصف ساعة متواصلة ثم تقدم أحدهم وأخذ البعض وهبط لأسفل ليجمع الجُثث، والجنديِ الذي نزل في البداية قال لي أنه رأى الحائط مكتوبٌ عليه بالدماء رسالة لكَ مضمونها..

ابتلع يارون ريقه ثم أكمل: أنتَ القادم، لأنك تتدخل فيما لا يحق لكَ التدخل فيه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثالث

القاعدة الرابعة:

إن كُنت ستموت فُمت دون خوف

القاتل يقتله عدم خوفك،

جابه إلىٰ آخر نفسٍ فيك.

تفوه يارون بآخر كلمة وكان آرام ينظر في كافة الأماكن، يدور في الغُرفة قائلًا: كيف علم أنني من أُدير القضية؟ لا يعلم أحدٌ من ساكني البلدة ولا يعلم سوىٰ عدة جنود وأربعة رجال شرطة وجميعهم أصدقائي، كيف علم؟

ظل مستمرًا في التساؤلات ما يقارب الخمس دقائق، ينظر إليه يارون ولا يتحدث ولا يُجيبه على أي شيء، يتركه ليخرج ما بداخله من خوف ليُعلمه أنه لا يمكنه التراجع تحت أي ظرف كان، انتهى من تساؤلاته وجلس على مكتبه يُفكر، حينها قال له يارون: لا تخف نحن جميعنا معك، من الآن فصاعدًا ستكون محاطًا ببضع الجنود، وسنعتني بكَ حتى أثناء نومك في منزلك، الأمر صعب نعلم هذا، ولكن لا يمكنك التراجع لا نملك مثلك أبدًا.

أومأ آرام برأسه واستأذن من مديره أن يخرج قليلًا ليستنشق الهواء ويُفكر ليعلم ما عليه فعله، سيذهب إلىٰ بيته بعدها ليغفو قليلًا لأن اليوم قد انتهى تقريبًا، وفي الغد سيأتي بقراره الذي لن يناقشه فيه أي شخص.

وافق السيد يارون على حديثه وتركه يذهب في نفس الوقت الذي كان يطمئن فيه على چيوم وآزر، أخبروه أنهم انتهوا للتو من صهر السبائك وأنها متينة بما يكفي لحماية المنازل، وأنهما في طريقهما الآن باتجاه منزل آرام حتى يبدأوا به بعدما سمعا ما حدث، قال آزر بصوتٍ ضاحك: أجُرُّ چيوم وقدمه ثقيلة تلتصق في الأرض، يُريد النوم كثيرًا ولكن حماية صديقنا أهم من النوم الآن.

وانتهىٰ الحديث بتأفف چيوم المسموع، كُلٌّ منهم ذهب باتجاه ما، إلا يارون وبعض الجنود التزموا مكانهم في المبنى ولم يذهبوا إلىٰ أي مكان حتى إذا عاد يكونون على أتم الاستعداد لمواجهته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اليوم التالي، في تمام الساعة الرابعة صباحًا، صوت المذياع يرتفع في أرجاء البلدة، جميع المنازل يتردد فيها صوت المُتحدثة وهي تقول: فقدنا آزر، قُتل آزر.

استيقظت البلدة بأكملها إلا آرام النائم كعادته، السيد يارون في مكتبه يحاول استيعاب ما يسمع والجنود يضعون أيديهم فوق أفواههم وهم في حالة صدمة وخوف، الجميع يتمنون لو أن هذا الكابوس ينتهي، يأتي چيوم من على بُعد خمسة أقدام متجهًا نحو غرفة يارون وهو يجُر أقدامه ويُمسك به اثنان من الجنود من ظهره حتى يستطيع الوقوف والسير، وصلوا أمام الغرفة مع طرقهم الشديد للباب ففتح جنديٌّ من الداخل، حينما رأى شكل چيوم صُعق، في ذاك الحين كان يارون مطأطئًا رأسه لأسفل ورفعها على صوت شيء ما يقع على الأرض مُصدرًا صوتًا قويًا، وإذ به چيوم قد فقد وعيه، صرخ يارون على مُمسكيه أن يذهبوا ويأتوا بالمياه حتى يساعدوه على الإفاقة، كان مشوهًا بالدماء التي تحتلُ ملابسه، وجهه وقدميه، يداه مقطوعتان وعلى وجهه حرف محفور، كان المنظر كفيلًا أن يُبلع المرءُ لسانه، بعد محاولات عدة أن يرجع چيوم لوعيه فتح عينيه ببطء وبدأ في الصراخ لأنه يتمزق ألمًا جسديًا ونفسيًا، الجميع في رأسه العديد من الأسئلة ولا أحد يستطيع السؤال، كيف مات آزر وماذا حدث، ولمَ آزر بالتحديد؟ هل كان يقصده بما كتبَ على الحائط؟ كل تلك الأسئلة تدور في رؤوسِهم ولكن لا جُرأة للسؤال أمام ذاك الموقف الذي هم فيه، بعدما جلبوا له عدة مهدئات ومسكنات آلام هدأ چيوم ونُقل بعدها إلى مشفى البلدة، في ذاك الحين كانت الساعة السابعة قد دقت، الجميع يقف أمام باب الغرفة التي يغفو فيها چيوم المسكين من وجهة نظرهم، أما عن يارون كان يتصل مرارًا وتكرارًا بآرام ولا يجد إجابة، بعد المرة الخامسة عشر فُتح الهاتف أخيرًا ورُدّ عليه، كانت زوجته ديّم بصوتها النائم تقول: من؟

شعر السيد بالإحراج لأنه أوقظها من نومها، ولكنه من شدة حاجته لزوجها قال لها: مرحبًا، أنا السيد يارون مدير آرام في العمل، وأريده أن يحضر إلى مشفى البلدة على الفور، لأننا فقدنا صديقه آزر وتشوه چيوم.

ظلت صامتة لدقيقة لا يجد منها إجابة، فقال: سيدة ديّم، أعلم مدى صدمتك ولكن نحن بحاجة آرام الآن.

لا يجد ردًا منها فقال مرةً أُخرى: سيدة ديّم، هل أنتِ معي؟

قالت وهي تستجمع كلماتها بصعوبة بالغة بصوتٍ مرتجف: أُريد أن يأتي أحدٌ لي، آرام يسبح في دمائه.

انتهى الحديث والسيد يارون في مكانه تجمدت أطرافه عندما سمع هذا الحديث، لا وقت للاستيعاب والصدمة أمر الجنود على الفور بالذهاب إلى بيت السيد آرام ليعلموا ما حدث ويأتوا به إلى المشفى بسرعة وهو سينتظر هنا حتى لا يصبح چيوم بمفرده.

بعدما مرت نصف ساعة تقريبًا على ذهاب الجنود، تواصل معهم السيد يارون ليعلم لِمَ تأخروا فحدثوه أنهم أتوا بآرام من غرفته وزوجته ديّم مرافقةً له وهم آتون على الطريق، تأخروا بسبب حالة الانهيار التي أصبحت فيها ديّم عندما ذهبت لرؤية والدة زوجها فوجدتها أشلاء، وأعلمه أيضًا أنهم انقسموا لفريقين: فريق أخذه وزوجته للمشفى وهم على مقربة منها، والآخر أخذ والدته لمشفى أخرىٰ حتى تهدأ السيدة ديّم قليلًا، وأخبروه أن آرام فقد إحدىٰ أصابعه وصُب عليه الكثير من الدماء ومن الواضح عليه أنه ضُرب على رأسه ففقد وعيه من الآثار الموجودة من أسفل رقبته لأعلى جبهته، وسيعلموه ما حدث بالتفصيل عندما يصلوا وتُجرىٰ له كافة التحاليل اللازمة.

أُغلق الحديث وزادت حيرة السيد يارون، يطرح العديد من الأشياء على نفسه ولا يجد جوابًا، لِمَ تأذت والدة آرام ولم يحدث شيء لزوجته؟

الأمر غريب، بدأت الشكوك تسير داخل رأسه، هل لها علاقة بما يحدث؟ ففي الأيام السابقة أيضًا كان آزر قد أخبره أنها عاملته بطريقة غريبة عندما كان في بيت آرام للاتفاق على أمرٍ ما وتحدثا عن القاتل وما يفعل وعلى صوتها قائلةً أنها لا تريد الحديث في هذا الأمر لأن آراءه لا تروق لها، وما ستتفوه به بعد ذلك لن يود سماعه، وحينها اعتذر له آرام قائلًا أن أعصابها تالفة بسبب ما يدور حولها من جرائم، حتى أن أفكارها تداخلت وأعطته مبررًا للقاتل من يومين ثم عادت واعتذرت عن ما قالت، فلا يحزن منها.

ترابطت الأحداث في رأسه وقرر أنه سيأخذها رهنًا لأنها تحت الشكوك لحين ما يستيقظ آرام ويعلم ما حدث منه تفصيلًا، وحينما كان يُفكر سمع صوت أقدام تقترب وإذ أنه جنديٌ يخبره أن آزر قد جُهز للدفن وچيوم استيقظ منذ لحظات ولكنه في حالة صدمة لا يتحدث، ينظر إلىٰ يديه وتتساقط الدُموع من عينيه دون توقف، حاولوا مرارًا أن يحادثوه ولا جدوىٰ أبدًا، وحينما كانا يتحادثان في أمر چيوم وما سيحدث له قال يارون: نتساقط واحدًا تلو الآخر، ماذا دهانا؟

عم الصمت مجددًا، الجميع صامت إلىٰ حين انفجار البُركان.

وصل آرام إلى المشفى فاقدًا الوعي ومعه ديِّم زوجته والجنود الآتين به، دلفوا إلىٰ غرفة في آخر الممشى الموجود في الدور الثاني، بجانب الغُرفة الموجود بها چيوم، استأذن الطبيب منهم أن ينتظروا خارجًا لحين تطبيبه للجرح الموجود في إصبعه، وحتى يستعيد وعيه ليكون مهيئًا لاستقبالهم، خرجوا جميعًا وانصرف الجنود أما ديِّم فظلت أمام الغرفة تنتظر، وفي حين انتظارها وجدت الجميع يسير باتجاه الباب الذي يُؤدي إلى غرفة المُتوفي، أخذها الفضول عندما رأت السيد يارون يقف في هذا الجمع، استدارت بما

تبقى من جسدها ووقفت لتتجه إلىٰ هناك، سارت حتى وصلت فوجدت أمامها جسدًا مُغطى ينظر إليه الجميع وأعينهم تحمل الحُزن بين طياتها، فقالت سائلةً: من هذا؟

أجابها أحد الواقفين أنه آزِر، أتو به بعدما توصلوا إلى مكانه أخيرًا.

صُعقت من الجواب، فكانت على علم مُسبق به لمجيئه المتكرر على بيتها، تذكرت كم كان يُحبه آرام وكم كانت نقاشاتهم تؤول إلى التفهم في آخرها، وأنها كانت تُحب مناقشته كثيرًا، ظلت تُفكر حتى دمعت عيناها، في الجانب الآخر يُتابعها السيد يارون ويُمعن في تعابير وجهها، وما لبث دقيقتين حتى أمر الجنود بالتحفظ عليها أمام جمع من الناس الواقفين، تجمدت في مكانها لا تعلم ما فعلت حتى يُأمَر بهذا؟ سألته مشيرةً بيدها وفي نبرتها عدم فهم: مَن؟ لَم أفهم.

لم يوجه لها جوابًا، إنما قال لجنديّ من الجنود بنبرة أمرٍ صارمة بعدما وقف الجميع في ذهول رافضين أن يُمسكوا بها: خُذها إلى زنزانةٍ نظيفة وعاملها برفق لحين نهوض آرام من فراشه، وإن لم يُنفذ حديثي حرفيًا لا تُرني وجهك في البلدة مرةً ثانية.

ارتفع صوته وهو يتحدث فخاف الجميع حتى هي، ارتعش جسدها عندما أمسكها الجنديّ من كتفها ووضع الأساور في معصميها، ظلت تبكي كثيرًا وهي تقول: ماذا فعلت؟ لِمَ تأمر بهذا؟ أريد الذهاب لآرام، سيُحاسبك عندما يستيقظ.

كانت الحروف تتداخل في بعضها من كثرة ارتجافها، تلعثمت في عدة كلمات بعدها فلم تُفهم، أخذها الجنديّ وهو يسير ببطء ويضع نظره في موضع القدم، يعتذر لها عما يفعل قائلًا أن ما باليد حيلة، هذا أمرٌ يجب تنفيذه، هدأ الوضع بعدما ابتعدوا قليلًا عن الغرفة ونظر إليهم السيد يارون من الأعلىٰ فوجد الجنديّ الآخر يلقيها داخل العربة وكأنه انتصر لنفسه، لم يهتم بالمنظر كثيرًا ولِمَ عاملها الجنديّ هكذا بقدر اهتمامه بأنه أمسك بقاتل آزِر، نظرته لا تخيب أبدًا، ومن المُحتمل أن تكون هي القاتلة بوجه عام.

تركهم السيد يارون وهم يُدخلون الجُثمان إلى الغرفة بعدما كشف الغطاء عنه فوجد جسده مُقطعًا والدماء التي كانت تسيل تجلطت فوق جلده من جميع الجوانب، وبعض الأجزاء مفقودة، تأثر كثيرًا من المشهد وتسلل الخوف إليه، فسار إلى غرفة چيوم ليطمئن عليه فوجده استعاد وعيه ولكنه في حالة سكون بسبب المُهدئ الذي ابتلعه منذ قليل، اطمأن عليه ثم خرج ذاهبًا لآرام ليعلم ما حدث وليُصمت رأسه عن التفكير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«آرام».

كنت أجلس ليلًا في غرفتي بعدما استأذنت من ديّم أن تتركني بمفردي اليوم، أردت قسطًا من الراحة بعد كُل ما مر من أحداث، تركتني كما أريد وغادرت الغرفة ذاهبةً لأمي كي لا تكون بمفردها، هنا ظللت أتنقل بين الفراش والوسادة، أطوف الغرفة ذهابًا وإيابًا ولا يأتيني النوم، حتى جلست على الفراش مستقرًا هادئًا، أفكر فيما علينا فعله، الخطوة التي اتخذها آزر كانت في صالحنا واعتقدت أنها ستُهدئ من هجمات القاتل، ظننته وإن أراد اقتحام أي منزل بعد اليوم سيواجه صعوبات في الدخول وسيصدر صوتًا يُعلم الجميع أن هنالك مَن يعبث هنا، تركت نافذة الغرفة مفتوحة كي يدخل الهواء النقي الذي يوجد بتلك الساعة، كانت الستائر المُعلقة تتطاير إثر نسمات الهواء، ولم ألبث نصف ساعة أحاول فيها النوم ولا أعرف له طريقة إلا وجدت شخصًا يرتدي شيئًا على وجهه يقف على نافذة الغرفة، نهضت من فراشي مباشرةً متجهًا نحو الشباك مُستعدًا لأي شيء سيحدث، ففي البداية كُنت لأعتقده لصًا حتى تذكرت أمر القاتل فرجعت خطوتين إلىٰ الوراء مجددًا ووقفت في مكاني دون حراك، حتى اختفى من أمام عينيّ لم أعد أراه، ذهبت مُسرعًا باتجاه الشُرفة فأغلقتها ومن بعدها النافذة المفتوحة وعدت لأجلس مرةً أخرى ومعي الأرق والخوف يرافقانني، أتقلب على جانبيّ ولا يغمض لي جفن، بعد مرور حوالي خمس دقائق شعرت أني أختنق شيئًا فشيئًا، انتشرت رائحة كريهة ونفاذة في جميع أركان الغرفة حتى فقدت نَفسِي كُليًا ولم أشعر بجسدي إلا مُكبلًا وأعصابي لا أقوى على تجميعها، فقدت الوعي لا أعلم وقتًا محددًا حتى استيقظت مجددًا، لم أكن مُغيبًا بل مشلولَ الحركة، فتحت عيني على ظلام دامس لا أرىٰ فيه بعوضة، أسمع صوتًا يأتي من خلفي ويقول: تماديتَ كثيرًا.

لم أسمع غيره ومعه صوت صراخي عندما قطع إصبعي، وسمعته في فمه يُمضغ بسبب هدوء الغرفة، حينها حاولت أن أُصدر صوتًا عاليًا من شدة الألم ولم أستطع، لم يخرج من أحبالي الصوتية سوىٰ صوت خافت لا يُقارن بصوتي في ذاك الحين، ومن كثرة الألم فقدت وعيي واستيقظت للتو، لا أعلم ما حدث بعدها.

انتهى آرام من حديثه وهو يتقلب على جانبيه من كثرة الألم الذي يشعر به فنهض السيد يارون ليساعده أن يجلس بدلًا من التقلب على الفراش، جلس فجلس هو أيضًا أمامه وقال له: لا أعرف ماذا يريد منا هذا القاتل! أتمنىٰ أن تمتثل للشفاء قريبًا، إصبعٌ واحد يا بُني لن يُؤثر فيك بشيء.

قالها ضاحكًا ليخفف عنه ألمه وهو يفكر بداخله كيف سيخبره بخبر وفاة صديقه العزيز آزر وإصابة چيوم ووفاة والدته، والذي سيزيد على الأمر كيفية إخباره أنه أمر بالقبض على زوجته اعتقادًا منه أنها السبب في ما حدث لآزر، قاطع تفكيره آرام عندما قال باستنكار: لِمَ لم تأتِ زوجتي ديّم وأمي؟ أعلم أن السيدة أثيلة لا تقوىٰ على التنقل كثيرًا هذه الأيام بحكم أنها مرضت في الآونة الأخيرة، وماذا عن ديّم، لم تتحدث؟

صمت السيد يارون قليلًا يفكر ما عليه قوله وكيف سيرتب حديثه، ظهرت ملامح القلق على وجه آرام عندما طال صمت سيده فقال: هل حدثت أشياء سيئة لهم؟ لِمَ الصمت!

تردد السيد يارون مرةً أُخرىٰ ورُبط لسانه، وشعر بأنه تسرع في اتخاذ إجراء ضد زوجة آرام دون علمه ولكن قرر أنه سيتحدث لكونه سيده ويجب عليه الامتثال لأمره مهما حدث، فقال بنبرة لا يشوبها الاضطراب: أمرت بالقبض على زوجتك السيدة ديِّم.

فتح آرام عينيه بشدة وعلى وجهه تعابير الصدمة، ثقل لسانه وأخذ وقتًا ليجمَع الحديث برأسه عندها أكمل السيد يارون قائلًا: أعتقد أنها السبب في قتل آزر، بل هي من قتلته.

لم ينظر إلى وجهه الذي تبدل للون الأصفر ليستطيع إكمال حديثه: نعم، آزر قُتل، وكان قد سبق وتحدث معي في أمر زوجتك التي دافعت عن القاتل عدة مرات عندما تناقشا في هذا الأمر، وأنها أظهرت له البغض والكره الذي تحمله تجاهه، لذلك أمرت الجنود بالتحفظ عليها لحين استيقاظك، وحتى تحدث چيوم فهو الآن في صدمة عصبية بعدما رأىٰ صديقه يُقتل أمامه وفقد يديه.

صرخ آرام في ذاك الحين بكُل ما يملك من قوة قائلًا: اصمت، كفىٰ، لا أتحمل أي حديث.

انهار من فرط الصدمة وظل يصرخ كثيرًا حتى دخل أحد الأطباء خلفه ممرضان ليرىٰ ما حدث، وعندما رآه يصرخ أمر الممرض الأول أن يُمسك به جيدًا لحين قيام الثاني بإعطائه مهدئ، وقبل أن يأخذ آرام المُهدئ ويغفو قال الطبيب للسيد يارون: ألم أقل لكَ يا سيدي ألا تُخبره بمقتل والدته قبل أن يسترد عافيته! لِمَ فعلت عكس ما قُلتهُ؟

نظر إليه وقبل أن يتفوه بكلمة كان آرام قد سمع الحديث فقال وهو يصرخ: هل قُتلت والدتي!

ومن قوة الصدمة فقد وعيه قبل أن يضع له الممرض أي شيء، حينها استوعب الطبيب أنه من أخبره عن ذاك الخبر، نظر إلى السيد يارون وهو يغادر الغرفة منزعجًا ثم خرج خلفه ليعلم ما حدث منه، وانصرف الممرضان بعدما اطمئنا أنه غفا فهدأ وأغلقوا الباب عليه.

بعدما علم الطبيب ما حدث في غرفة آرام وما قال له السيد يارون، عتب عليه قوله هذه الأشياء في وقت كان لا يُحتمل الحديث، أومأ السيد برأسه معترفًا بخطئه وتسرعه في القول، وأخبره أنه سيذهب لچيوم ليراه ويعرف منه ما حدث، تفارقت طُرقهما فذهب الطبيب باتجاه غُرفة آرام مجددًا والسيد يارون باتجاه غُرفة چيوم.

كان يستلقي چيوم على ظهره وينظر إلىٰ سقف الغُرفة، تُعلق في رقبته محاليل كثيرة، فالأوردة فيها أفضل من قدمه، عندما طرق السيد يارون باب الغُرفة ثم فتحه ودلف إلىٰ الداخل حاول چيوم الاعتدال في مجلسه ولكن لم يصمد كثيرًا في محاولاته حتى سقط كما كان مُستلقيًا، فاتجه إليه السيد يارون وأجلسه في مكانه، ربَّت بيديه على ظهره وحاول أن يواسيه في مصيبته بقدر ما يعلم، تحدث إليه مطولًا وما كان من چيوم إلا يبعث إليه الابتسامات فقط ولا يوجد رد منه، فقال له السيد: أعلم أنه ليس وقتًا مناسبًا، ولكن ألن تُخبرني بم حدث لكما؟ وكيف حدث؟

أشُكُ في شخصٍ ما وأُريدك أن تُؤكد لي، رجاءً تحدث.

تغيرت ملامح چيوم إلى الأسوأ ونظر إليه بشكٍ وارتياب، كان يظهر عليه الخوف وازداد ظهوره في نبرته عندما قال: بمن تشُك؟

أجاب السيد دون تردد: زوجة آرام، السيدة ديِّم.

تبدلت ملامحه إلى الضيق وقال متأسفًا: لم أكن أُريد تأكيد شكك، ولكني رأيت عدة علامات حينما كانت تُهاجمه تؤكد أنها الفاعل، أخاف على آرام كثيرًا فلا تُخبره.

صمت السيد يارون ولم يلفظ حرفًا، لا يريد إخباره الآن أن آرام علم ودخل إلي صدمة عصبية، نظر إليه أن يُكمل حديثه ويقص ما حدث، فأكمل كلامه قائلًا ونبرة الخوف تعتلي صوته: كُنا أنا وآزِر نستعد لنقل السبائك برفقة الجنود بعدما انتهينا من صهرها وتشكيلها وبعث لأحد الجنود أن يجمع رفاقه ويأتوا إلى مكان العمل لأنهم انصرفوا بأمرٍ منه حتى لا يتزاحم المكان دون سبب، وإذ بشخصٍ يرتدي الأسود ويخبئ عينيه يظهر أمامنا فجأة وينظر في أعيننا بحدة، تراجعنا خطواتٍ إلىٰ الوراء لأنه يُخيفنا بسكينٍ حاد أطول من يدي كثيرًا وكأنه سيف، في ذاك الحين كان آزر يضع يديه خلف ظهره ليُجهز سلاحه

ويطلق عليه دون أن يعلم، وأنا أضع يدي أمامي كي لا يشعر بشيءٍ غريب يحدث، وفي لحظةٍ واحدة امتلأ المكان بالدُخان الخانق، اختنق آزِر واضطربت أعصابه فأوقع سلاحه من يده خلف ظهره، أصدر صوتًا عاليًا بشكلٍ ما وبعدها تكرر ما حدث له معي، ثم سقطنا أرضًا بعدما يقارب الدقيقتين، نرىٰ كُل شيء ولكن لا نستطيع الحراك، الغريب أنه لم يحدث له شيء إثر الدُخان أظن أنه كان يرتدي واقيًا وهذا أثار استغرابي أكثر لعدم وجود تلك الأشياء لدينا في البلدة.

صمت چيوم قليلًا بعدما استوعب ما قال، ولكن لم يظهر عليه أي شيء وأكمل قائلًا بنفس نبرة الخوف:

حينها قُيدت أيدينا وأقدامنا، شعرت حينها بملمس يد امرأة، لم تكن كفوف رجلٍ تلك، بعدما أصبحنا عاجزين عن الحركة حرفيًا بسبب تقيدنا بالحبال، جُرّ آزِر وكأنه ذبيحة تحتضن الأرض لآخر مرة، كانت عيناه تلتفت يمينًا ويسارًا من شدة الخوف، نظر إليّ في داخل عينيّ مراتٍ عديدة يستنجد بي، ولكن ما باليد حيلة كُنت مكبلًا مثله تمامًا، رأيته بعيني وهو يُطعن بكافة جسده، يتأوه بصوتٍ ضعيف ولا يقوىٰ على الصراخ، انهمرت دموعي لا إراديًا، حاولت الحركة لإنقاذه وكانت كل محاولاتي تبوء بالفشل، مات صديقي العزيز أمام عيني ولم أستطع مساعدته بمقدار ذرة، بعدما تلقىٰ العديد من الضربات المتتالية في سائر أعضائه، رأيتها وهي تقطع جزءًا من جسده وتمضغه وهي تقول: هذا مصير من يُخالفني في أي شيء.

تذكرت حينها حديث آزِر عن المناقشة التي دارت بينه وبين زوجة آرام، وأخص بذكر التأنيث لأن شعرها قد فُكَّ وتساقطت عدة شُعيرات من أسفل القناع، رأيتها بعدها تقترب منّي وكانت أمنيتي الوحيدة حينها أن أستطيع التعبير عن خوفي وأن يكون هناك مساحة لجسدي أن يرتعش، فشعور الخوف وعدم المقدرة في التعبير عنه أسوأ من أي شيء، أمسكت بياقتي فارتفعت عن الأرض عدة سنتيمترات فقط، لم تقوَ على رفعي أكثر، ثم التقطت السكين بيدها الأخرىٰ واقتلعت يدي اليُمنى، وددت لو أصرخ بفمي المُحاك، شعرت بأكثر شعور مؤلم ومُخزٍ، وضعت يدي أمامي ثم أخذت الأخرى بنفس الطريقة وأدخلتها حقيبتها أمام عيني، بُترت يداي وُوضعت في حقيبة أمامي وأنا عاجز.

بدأ في البكاء بشدة، تتصاعد أنفاسه ثم تهبط في ثانية، ظل هكذا حتى جاءت ممرضةً من الخارج وأعطته مهدئًا فراح في نومٍ عميق، اكتفىٰ السيد يارون بما سمع وتركه ليرتاح حتى لا يثقل عليه أكثر من ذلك، وذهب ليرىٰ آرام حتى يطمئن عليه، وأثناء سيره صادف الطبيب يسير باتجاهه وحينما وصل إليه وقف بحزنٍ شديد يعتلي ملامحه وبنبرةٍ مهزومة قال: فقدنا آرام يا سيد

يارون، لم أود أن أقول لكَ أمام چيوم حتى لا يدخل في صدمة عصبية، أنا آسف، فعلت كل ما أقوىٰ على فعله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الرابع

انتهت القواعد عند الرقم أربعة

الآن فقط،

القاتل يستريح

والدُمىٰ المُتحركة تبدأ العراك

«هـ.ـم»

حالة من الحُزن تنتشر في الأرجاء، صوت المذياع يرتفع في جميع أرجاء البلدة بصوت المُتحدثة: فقدنا اليوم واحدًا من أهم ضُباط هذه البلدة المُتخفين، العاملين بصدقٍ دون الالتفات لمعرفة أحد لهم، فقدنا آرام وفقدنا معه جثمانه.

تجلس ديِّم في زنزانةٍ عفنة، تسمتع لما يُذاع في الأرجاء وهي تبكي بشدة على فقدها لزوجها الحبيب وتنعي نفسها على ما سيحدث فيها، لم يعُد هناك من سيُدافع عنها ويُظهر براءتها مهما كلفه الثمن، لم تكن تعتقد أن الأمور ستصل إلىٰ تلك النقطة، ولا أنها ستصل بها إلىٰ هُنا، مصيرها مجهول الآن، أما عن چيوم فقد انتقل إلى مصحةٍ في المدينة ليتعافىٰ من آثار الصدمة التي حلت عليه، لم يحتمل موت رفقائه واحدًا تلو الآخر، السيد يارون يجلس في مكتبه منذ أيامٍ لا يخرج، أصبح المكان فارغًا عليه، هو والحائط والقليل من الأوراق التي يحاول بها إثبات التُهمة على ديِّم حتى يقبلها مخفر المدينة وتلقىٰ عقابًا مضاعفًا، يُريد أن تُعدم في ميدان عام أمام الجميع لأنه على ثقة تامة أنها هي القاتل «هارلان» المُتخفي، مع علمه أيضًا أن الأمر يشوبه علامات استفهام كثيرة ويحتاج أن يصل إلىٰ الأحداث بالترتيب حتى يعلم كيف ارتكبت كل تلك الجرائم بهذه الاحترافية، هي لا تتحدث أبدًا ولا تُريد الطعام أيضًا منذ أيام.

دُفن آزر بما تبقى من جسده ودُفنت والدة آرام أيضًا، أما عن آرام فكان اختفاء جثمانه بعد وفاته دليلًا كافيًا على أن زوجته لم تكن هي القاتلة له، هناك مجهول آخر في تلك الحادثة، لا يعلمه أيضًا، ستنفجر رأسه من التفكير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد مرور خمسة أشهر من آخر حادث قتل في البلدة استقرت الأمور أخيرًا، تتحسن حالة چيوم ببطء ولكنها تتحسن وهذا هو المُراد، أمر الطبيب في المصحة أن يعود إلىٰ عمله فهذا أكثر شيئًا سيساعده الآن في مرحلته

الجديدة من العلاج، لن يتخطىٰ الصدمة إلا إذا اختلط بالأماكن القديمة حتى تصير عادية بالنسبة له.

يجلس السيد يارون منتظرًا مجيئه، فقد أخبره أنه على مقربةٍ من البلدة منذ ساعتين تقريبًا، عُيِّن العديد من ضُباط الشرطة الذين كانوا على قائمة الانتظار لعدم الحاجة إليهم في حين وجود آرام، أما الآن فهم في أمس الحاجة إليهم، أما عن السيدة ديِّم فقد توصل السيد يارون في النهاية أنها ليست القاتلة للجميع، بل كانت تتخلص من آزر انتصارًا لنفسها فقط، ما زال لم يتوصل إلىٰ نقطة تناولها لأجزاء من جسده، فقد كُشف عليها ولم يظهر عليها أي من أعراض آكلي اللحوم البشرية، القاتل ما زال مجهولًا ولكن المُهم أنه هدأ، فقد وصل للسيد يارون منذ شهرين رسالة نصية مكتوبٌ فيها:

الأمر صعب لا أُنكر ذلك أبدًا.”

أنا هارلان، أنا من حُرم من طفله وهو حيّ، كنت أشعر بحركاته داخل والدته، ولسببٍ غبيّ أفقده وتُفقد زوجتي معه.

لا داعي لذكر المُبررات لما فعلت الآن، دعني فقط أقصُ عليكَ ما أُريد قوله، بدأ الأمر من الطبيب الذي كان مسؤولًا عن إجهاض طفلي وممرضته السيدة شدنّ المُزعجة والمُتعجرفة، لم أكن أنوي قتلها ولكنها بغيضة تستحق الموت، ما علَيْنا..

خططت كثيرًا وكثيرًا لأول عملية قتل، كل شيء درسته بدقة شديدة، تحركاتي جميعها حسبتها بالخطوة، في ليلةٍ ما قررت أنها هي ليلة قتل الطبيب، بدأت في تنفيذ الخطوات كما خططت لها بالضبط، ذهبت إلىٰ مكان عمله بعدما انتهى الوقت وحان وقت ترتيبه لغرفه هو وممرضته -بالمُناسبة، كانا على علاقة مقززة- لأنه مهووسٌ بالنظافة، تسللت من إحدىٰ المداخل حتى وصلت إلى غرفةٍ خالية في ذاك المكان، جهزت كل شيء ثم ارتديتُ الواقي حتى لا أختنق معهما من الرائحة، وكما توقعت خمس دقائق بالثانية وكانا الاثنان آتيين للغرفة على أثر الرائحة الكريهة، عندما فتحا الباب نزل سكينان حادان بجانب منتصف رأسيهما بمسافة سمحت لهما بالتمسك بالحياة للقليل بعد، توقف السكينان عند نقطة معينة أتاحت الفرصة للهروب ولكن لم يستطيعا اللحاق إذ ظهرتُ أمامهما وبيدي سكين حاد آخر أضعه في صدر الطبيب ثم المُمرضة، الرائحة حينها لم تساعدني كثيرًا لأنني كنت أتلذذ بتعذيبهم دون أن يختنقوا، بعد دقيقتين كانا قد قطعا الأنفاس وأمسيا جثتين هامدتين أمامي على الأرض، لم أكتفِ بذلك أبدًا، وضعت المُمرضة في آخر الغرفة وأمسكت الطبيب لأرفعه على مقعد وأبدأ بما خططت -كان ثقيلًا حقًا-، أجلسته ثم شددت الحبل على سائر جسده حتى يتزن، أخرجت زُجاجًا

مكسورًا من حقيبتي وبدأت أغرزه واحدًا فالآخر في أنحاء جسده والبسمة لا تُغادر ثغري، ثم فصلت رأسه وفرغتها من كُل شيء وحفرت على أعلاها «الطبيب القاتل» ووضعتها على طاولته في الغرفة الأُخرى حتى تجدوها حينما تصلوا، لم أكن أعلم حينها أنني أشتهي تلك اللحوم، رغم كُرهي له ولكني استفدت من لحمه وشبعت كثيرًا، مع كُل مضغة منه أحتسي كوبًا من الماء حتى تُبلع بسهولة، لحمه دسم جدًا وثقيل، من الواضح أنه كان يتغذى على اللحوم فقط، بعد ساعة كاملة من الاستمتاع كان يجب عليّ المغادرة؛ لأن صديقه يأتي له ليقلّه إلى منزله في هذه الساعة يوميًا، تذكرت حينها أنني تسرعت ولم آخذ منه المعلومات التي أريدها عن الشخص الذي أمره بهذا «السيد لادن» فانتظرت حتى جاء الطبيب، كنت في انتظاره بطريقة مختلفة.

أقف خلف الباب بسكيني الحاد -الذي أصبح صديقي العزيز من حينها- أنتظر دخوله، حينما فتح الباب في نفس اللحظة كانت السكين توضع على رقبته، شعرت حينها بالكهرباء في جسده والرعشة التي تملكت أصابعه، لولا معرفتي المسبقة بكم هو رجلٌ جبان ما كنت انتظرته وخاطرت بنفسي -هذه معلومة جانبية لكَ، علّكَ تتعلم- كان الأمر أسهل مما تخيلت، أجلسته على مقعد دون أن أبذل أي مجهود سألته فأجاب وترجاني أن يرحل، ولسوء حظه كُنت قد تعلمت حركةً لضرب العُنق بالسكين عن بُعد، وأريد تجربتها وهو أمامي، ألا أجرب برأيك؟

استلقى أمامي دماءه تنتشر في المكان، ولأنه كان جبانًا بما يكفي تركته كما هو، لا آكل الجُبناء، يتلوث جسدي.

بعدها توالت المتعة، السيد لادن، الخادمة، وولده ذو الطعم الشهيّ، والكثير من الأبرياء في المنتصف -قد ظُلموا، سامحني عليهم فقط-، آرام المسكين الذي لم يتحمل قتل والدته، وزوجته المسكينة ديِّم التي حاولت أن تكون مثلي ولم تستطع، غبية كانت لتُفصح عن رغبتها بشكلٍ ما، سأصل إليها وأعلمها، كنت سأقتل آزر ولكن هي قامت بهذا الدور صِل لها تحياتي وامتناني، چيوم المغفل، سأعود له ولكن الآن اتركه ليكُمل علاجه، لا أقتل المخابيل.

الدماء تملأ الغُرفة بعدما انتهيت من مضغ كُل جزء بلذة، ما زال لديّ القليل من أجزاء أجساد، لا أعلم أصحابها ولكن الأمر مُمتع جدًا، والأمتع أن تسترد حقك بالطريقة المُشبعة لرغبتك، أن تستريح بعد عناء وتخطيط، كُل من تأذىٰ الآن يستحق هذا الأذىٰ -إلا قلة قليلة- وأضعاف أضعافه، ولكن ما باليد حيلة، هذا ما أستطيع فعله فقط، ولو عرفت طريقة أُخرىٰ لفعلتها.

سأتركهم الآن ليقاتلوا بعضهم وأنتَ معهم، حتى القادم أنا من خططته، ليأخذ كُل ذي ثأرٍ ثأره من الشخص الخطأ، سأنظر من بعيد وأبتسم على ما يحدث دون تدخل، وداعًا أيها السيد العجوز، وداعًا أيتها البلدة المشئومة.

توقيع: هارلان السعيد جدًا.

وقعت بقعة دماء بالخطأ، آسف».

حينما قرأها للمرة الأولىٰ كان في حالة صدمة لا مثيل لها، ظل جالسًا ما يقارب الساعتين لا يفعل شيئًا سوىٰ أنه ينظر إلىٰ الحائط ويفكر في كل كلمة قرأها، ماذا يعني أنه سيعود لچيوم؟ وكيف يعلم ما سيحدث بعد الآن! آلاف الأشياء تأتي في مخيلته، يخاف كثيرًا من القادم، ظل في تلك الدوامة لمدة أسبوعين حتى شحب وجهه من كثرة التفكير، حينها قرر أن يُخبئ الرسالة حتى لا يقرأها آخر وأن يُكمل حياته دون الالتفات لما سيحدث مع الأخذ في الاعتبار أنه من المُمكن أن يعود في أي لحظة، فكر في تعيين أناس من المدينة فبعث للچينيرال أنه يريد ضابطين كُفء، وعين من كانوا في قائمة الانتظار ليعمل المكان كما كان من قبل، واليوم سيعود چيوم الذي سيتولىٰ منصب آزر وإن اجتهد سيأخذ منصب آرام، ظن أن القصة قد انتهت مع أنها تبدأ الآن.

بعد مرور عدة ساعات أُخرىٰ يأتي چيوم من على بُعد أمتار متجهًا نحو مكتب السيد يارون بعدما تلقىٰ الكثير من التحية والترحيب الحار من الجميع ورأىٰ في أعينهم السعادة والابتسامة تزين شفاههم لعودته، وقف أمام الباب وطرقه عدة مرات، سُمح له بالدخول بعد المرة الرابعة من الطرق، عندما رآه سيده دُهش مما رآىٰ، چيوم يمتلك ذراعين كما الحقيقيان تقريبًا، سار بخطواتٍ سريعة باتجاهه وهَمَّ باحتضانه فورًا، ابتسم چيوم وهو يبادله العناق ويتحدث بصوتٍ مسموع: عُدت سعيدًا مرةً أُخرىٰ.

قال له السيد يارون معبرًا عن سعادته بعدما أفلته من بين يديّه: الشكرُ أنكَ بخير، سُررت كثيرًا بعودتك.

ثم استكمل حديثه متسائلًا: ذراعاك جميلان، كيف فعلتها؟

جلس چيوم وهو يُمسك بذراعه اليُمنى عن طريق الأُخرىٰ ويبتسم قائلًا: هناك الكثير والكثير من الأشياء التي أُريد قصها عليكَ يا سيدي، مثلك تلك الأذرع، ولكن ليس في هذا الحين، أمامي العديد من الأشياء سأُنهيها ثم أعود إليكَ، ليطول حديثنا لليوم التالي، ما رأيك؟

أجابه بالموافقة وقال له: بالتأكيد سأنتظرك يا ضابطي العزيز.

ودعا بعضهما على موعد اللقاء ليلًا ثم غادر چيوم المكان ذاهبًا ليقضي ما يُريد، وجلس السيد يارون لينتظره ويُكمل عمله في نفس الوقت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يستمع لكُل شيء رغم عدم تواجده في المكان، ويسير خطوة بخطوة مع الأحداث وكأنه يقف فيها، قال مبتسمًا وهو يحتسي كوب الشاي المُحلى بقطرات الدماء: عاد، لتبدأ اللعُبة.

چيوم العزيز، الآتي أصلب منك والمستقبل مُظلم لكَ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مر الوقت سريعًا وعاد چيوم إلى المخفر فوجد سيده ينتظره كما أخبره مسبقًا، دلف إلى الغرفة الموجود بها وجلس على أقرب أريكة موضوعة بعدما ألقىٰ التحية عليه، أمسك بكأس الشاي الذي كان موضوعًا على الطاولة أمامه وقال محادثًا سيده: هل هذا الكوب لكَ سيدي؟ سآخذه.

أومأ له السيد يارون مُشيرًا له أن يأخذه وصاح بصوتٍ عالٍ على إحدى الجنود الموجودين في الخارج، وعندما حضر إلىٰ داخل الغرفة أمره أن يأتي له بكوبٍ آخر من الشاي، وكوبٍ من القهوة المُزودة بالحليب للضيف القادم، نظر إليه چيوم في ذاك الوقت وسأله: مَن القادم؟

فأجابه السيد يارون أنه ضابطٌ من المدينة، أرسله الچينيرال بعدما تحرىٰ كثيرًا عن السيدة ديِّم زوجة آرام ووجد أنها بريئة ولم تفعل ذلك، وأنها الآن حُرة تسكن في إحدىٰ المنازل ولم تعد للقرية بعدما أمرها الچينيرال بذلك وساعدها في الحصول على مكانٍ تستقر به تعويضًا لها عما حدث.

ظهرت علامات الاستغراب على وجه چيوم وسأل بنبرة استفهام: ماذا تعني بأنها بريئة؟ إذًا مَن كانت تلك؟

هذا الحديث له معنىٰ واحد، وهو وجود قاتلين في البلدة الآن، أليس كذلك؟

فأجابه السيد يارون بنفس الحيرة: لا أعلم حقًا يا چيوم، كل الإشارات تؤدي إلىٰ أنها القاتلة، لم يُفصح الچينيرال حتى عن أسباب براءتها، فقط أخبرنا بذلك.

كان چيوم على وشك طرح العديد من الأسئلة في نفس الحين الذي طُرق الباب فيه من قِبَل الجنديّ يُعلم سيده أن الضابط المُنتظر قد جاء وهو معه الآن، وأيضًا المشروبات بيده ويستأذنه بالدخول، أذن له السيد يارون ففُتح الباب ودلف الاثنان إلىٰ الداخل، وضع الجنديّ المشروبات على الطاولة أمام الضابط چيوم ثم انصرف وتركهم يتبادلون التحية ببرود فيما بينهم، وبعد سلامٍ

جافٍ من كلا الطرفين تحدث الضابط القادم من المدينة موجهًا حديثه للسيد يارون: أهلًا بك يا يارون.

لم يُكمل حديثه وكانت علامات الصدمة تحتل وجه كُل من السيد يارون وچيوم، أكمل حديثه دون إعطاء تعابير وجوههم أية أهمية: أنا الضابط بوڤير، آتي في مهمة لمدة أربعة أشهر، سأنهيها وأعود للمدينة على الفور، لا أحبذ البقاء هُنا كثيرًا كما تعلم، وكي لا يطول الحديث سنتفق على نقاطٍ أساسية حتى يمر الوقت بسلام، وأولها مراعاة فرق الخبرات والكفاءة بيننا، ما سأقوله سينفذ بالحرف، لا يعنيني أنك السيد هُنا فإن ذهبت للمدينة ستكون أقل مني رُتبة، لتعلم هذا.

أنهىٰ حديثه ولم ينتظر ردًا منه، استأذن وغادر المكان بعدما أعلمهم أنه سيذهب مع جنوده ليبحثوا عن أفضل منزلٍ في البلدة ليسكنه، وسيعاود المجيء إلىٰ هنا غدًا ليكون قد استراح، حينما أعطىٰ ظهره لهم قلده چيوم بطريقةٍ مُضحكة حتى يُهدئ من إزعاج الموقف على سيده، فقد تبدل لون وجهه ومن الواضح أنه على وشك اللعن في الفكرة التي اقترحها على الچينيرال حتى يُرسل بضع الضُباط للمساعدة، فإن كان جميعهم هكذا فهو لن يُريدهم إطلاقًا.

باءت محاولته بالفشل الذريع، فصاح السيد يارون بصوتٍ مرتفع: تبًا لكَ.

مُعلنًا غضبه الشديد عما حدث منذ قليل، سار في كافة أنحاء الغُرفة ما يُقارب العشر دقائق ذهابًا وإيابًا مُرددًا: كيف يجرُؤ هذا الوغد أن يُحادثني هكذا؟ ألا يعلم مَن أكون! مَن هو حتى يتكلم بتلك النبرة البغيضة؟

حاول چيوم تهدئته ولكن دون جدوىٰ، فتركه يُفرغ غضبه كله حتى لا يحدث له مكروه، وبعدما انتهىٰ من حديثه المُنزعج جلس على مقعده ورفع قدمه فوق مكتبه، أخذ نفسًا عميقًا ثم أخبر چيوم بأنه من المُمكن أن يبدأ بقص ما كانا قد اتفقا عليه قبل مجيء ذاك الوغد بوڤير، فهو استقر.

جلس أمامه وهو يستعد للحديث، تريث ثم قال: لم يحدث شيء مثير طيل فترة مكوثي في تلك المصحة، في أول أيامي كُنت أعاني من صدمة عصبية لا تزول، أخاف ليلًا أن يقتلني أحد وأستيقظ نهارًا صارخًا من رؤية الكوابيس، ثم أنظر إلىٰ يدي فلا أجدها فيتوالىٰ البُكاء عليّ، كان كُل شيء عكسي تمامًا، شعورٌ مميت يا سيدي أن تستيقظ صباحًا لتتذكر أنك فقدتَ مُحبيك للأبد، تُهاجمني أفكاري كُل ليلة حتى أنني لا أستطيع أن أُغمض عيني دون مُهدئ، وأسترجع كافة ذكرياتي مع آرام وآزر ثم أبكي مطولًا عليهما، لم يستحقا ما جرىٰ لهما، كانا يستحقان حياةً أفضل واستقرارٍ أكثر، لا أن يُقتلا وتؤكَل لحومهما قبل أن يتحللا، مرت الأيام هكذا حتى آتاني طبيبٌ مختصٌ في تركيب

الأطراف الصناعية وعرض عليّ أن يضع لي يدين بدلًا عن اللتين فقدتهما، سُررت كثيرًا حينها وازداد هذا الشعور عندما علمت أن الچينيرال بنفسه قد أمر بذلك ليساعدني على التعافي وأن أعود لمهنتي في أقرب وقت، وجرت العملية على أتم وجه، نجحت وعُدت مرةً أخرى أتحسس جسدي كله بيدي، أمسك الأشياء ببساطة وكأنها يدٌ حقيقية، لم أكن أعلم أن الطب قد تطور هناك لهذه الدرجة، في المدينة حياةٌ يا سيدي ليس كمثل التي نعيشها هُنا، لذا أفهم نبرة حديث السيد بوڤير معكَ، نُقل من النعيم إلى النار، هكذا يُعبر عن غضبه فلا تحزن منه.

تجاهل السيد يارون آخر جملة قد تلفظ بها چيوم لشدة مقته الآن على السيد بوڤير وبادله الحديث عما قال بدايةً بنبرة حزن عليه: واجهت كُل تلك الأشياء وحدك؟

الوحدة، الاكتئاب والنوبات العصبية، أنتَ بطل يا چيوم، الشكر على سلامتك، وتقديرًا لما ممرت به أنتَ الآن تعتبر في مكان آزر، وإن اجتهدت ستأخُذ منصب آرام، ما رأيك؟

قفز من مكانه تعبيرًا عن سعادته العارمة والتف حول المكتب حتى وصل أمام السيد يارون واحتضنه كثيرًا وهو يقول: رأيي في ماذا؟ ليس لي رأي في هذا، بالطبع أُسر كثيرًا من ذلك، شكرًا لكَ يا سيدي، أنا في امتنانٍ دائمٍ لكَ.

ضحك سيده على ردة فعله، كان على علمٍ مُسبق أنه سيكون فرحًا ولكن لم يعرف أن سعادته ستصل إلىٰ هذا الحد، تبدلت تعابير وجه چيوم بعدما أنهى حديثه بلحظاتٍ إلى الحُزن وقال: لم أكن أتطلع أن آخذ مكان أي من آزر وآرام في يومٍ من الأيام، ولكن الآن على أحدٍ منا أن يقوم بمهامهما، البلدة تحتاجنا، لن أعوض مكانهما ولكن سأحاول أن أعمل على أكمل وجه، أعدك سيدي.

تأثر السيد يارون بحديثه كثيرًا حتى امتلأت عيناه بقطرات من الدموع، قام وربتَ على كتفه وقال له ألا يحزن، فقبل كُل شيء هو كان ضابطًا منضبطًا طوال الفترة الماضية، لذا استحق هذا المنصب عن جدارة.

انتهى اليوم برحيلهما كُلٌ على منزله بعدما أخبر السيد يارون چيوم أنه عليه الذهاب للمدينة غدًا حتى ينتهي من بعض الإجراءات لاستقبال خمسٍ ضباطٍ من هناك لمساعدتهم في ضبط أمور البلدة واستعادة استقرارها مرةً أُخرى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في صباح اليوم التالي استعد چيوم لذهابه للمدينة، خرج فرأىٰ عربةً قد أُرسلت إليه خصيصًا من الچينيرال حتى يكون في راحةٍ تامة لحين وصوله،

وكي يستقلها وهو عائدٌ أيضًا لأن كل ضابط سيأتي معه للبلدة بعربته الخاصة، كي لا يكون أقل منهم في أي شيء، ابتسم چيوم عندما سمع حديث الجنديّ الذي آتى من البلدة وسيرافقه الآن أيضًا ثم صعد إلى العربة حتى يبدأوا في المسير.

في منتصف المدينة، تحديدًا في منزل ديِّم الجديد، تجلس وهي تتصفح التلفاز وأمامها العديد من الأشياء الحُلوة لتأكلها وكوبان من المشروبات الغازية، تنتظر منذ البارحة حتى يأتيها شخصٌ ما، سمعت قرع الباب فعلمت أنه قد وصل، مشطت شعرها جيدًا للمرة الخامسة وسارت حتى تفتح، لا تريده أن ينتظر طويلًا، فتحت الباب بابتسامةٍ تُرسم على وجهها الصغير قائلةً: كنت أعلم أنك ستأتي.

دلف إلىٰ الداخل بعدما بادلها الابتسامة وأخبرها بأنه مُتعبٌ من طول الطريق عليه، ولم يكمل جملته إلا وهو يرمي بجسده على الأريكة ليُفسد رونقها تمامًا، لم تهتم ديِّم كثيرًا سوىٰ بأن يكون بخير، عم الصمت بينهما لمدة عشر دقائق، هو يريح جسده ويتناول من الموضوع على الطاولة ويُمسك بالناقل ليغير قنوات التلفاز وهي تتأمله فقط.

قطع صمتهما طرقٌ على باب المنزل فتعجبت ديِّم لأن لا أحد يطرق عليها بابها ولا أحد يعلم أنها تسكن هنا من شدة صمتها، ذهب هو باتجاه الطرق حتى يعلم مَن القادم، فتح الباب وإذ أنه مُحصل الكهرباء في المكان ويتأكد من وجود أحد في ذاك المنزل، كان على وشك أن يفتعل مشكلة بسبب عدم معرفته لوجود أحد في المكان حتى أظهر له الرجل الذي في منزل ديّم هويته فرأىٰ كلمة «مُفتش» فصمت المُحصل وذهب، أغلق الباب ثم عاد إلىٰ مكانه مزامنةً مع قول ديِّم: فعلت لي العديد من الأشياء السيئة حتى الآن، يكفي الموقف الأخير الذي كُنت سأموت فيه بسببك، ولكن أمام تلك الأشياء لكَ الكثير والكثير من المواقف الجيدة، فلا أستطيع محاسبتك للأسف الشديد.

ضحك على حديثها وقال: أردت فقط أن أُخرج نفسي مما حدث، لم يكن أمامي سواك، أعتذر لا تحزني، ولكن لا تُنكري أنني استطعت إخراجك منها بكل سهولة أيضًا، أكان عندك شكٌ في أنني سأحُلها؟

أشارت برأسها نافيةً أن الشك قد زارها، ثم قالت بنبرة ثقة: كُنت أعلم أن من جعل السيد يارون الأحمق يشُك بي بكل تلك البساطة، سيخرجني من كل تلك الأحداث بطريقة أسهل.

تبادلا القُبلات ثم ضمها إليه وهو يقول: حبيبتي، وأخيرًا نحن معًا دون معرقلات.

ابتسمت ثم قالت: عزيزي أحبك.

جلسا ما يُقارب الساعتين بين حديثٍ معسول وذمٍ فيما قد مضىٰ دون أن يكونا معًا، بعدها استأذن ليذهب بسبب المشاغل التي تقع على عاتقه، عبرت عن اعتراضها بتعابير وجهها فقط، فاعتذر لها كثيرًا وقال لها: أنا مُضطرٌ يا ديِّم، لا أود الذهاب حقًا ولكن هنالك ما يجب عليّ إنهاؤه، سأعاود المجيء لكِ.

قبلها في خديها ثم خرج من المنزل ذاهبًا نحو مشاغله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وصل چيوم إلىٰ مبنىٰ الچينيرال الذي استقبله بحفاوة على عكس المرة السابقة، سارا معًا حتى وصلا للطابق العلويّ ولأنه قد ذهب إلىٰ هناك برفقة آزر في المرة السابقة فكان على علمٍ بكيفية فتح الباب وأين سيجلس وكل تلك التفاصيل، يسير بجانب الچينيرال مباشرةً وخلفهم بضع الجنود الذين سينضمون للاجتماع، جلسوا جميعًا ينتظرون المُتبقي من الضباط الآتين من مشاغلهم في مكانٍ غير الذي جلس فيه چيوم في المرة الأولىٰ له هُناك، في مكانٍ أكثر فخامة ويتسم بالخصوصية، بعد مرور حوالي ربع ساعة من الحديث المتبادل بينهم في أشياءٍ غير هامة وصل أربعة ضباطٍ كُل منهم له شكل مختلف عن الآخر برتباتٍ مُختلفة، ألقوا التحية ثم جلسوا في المقاعد الأمامية ليكونوا مقابلة چيوم والچينيرال مباشرةً، يظهر عليهم الانزعاج بشكلٍ واضح، يتفهم كُل منهم بسبب تأففهم جيدًا، فالانتقال من كل هذا الخير للجفاء القاحط ليس أمرًا سهلًا، سيحتاجون الكثير من الوقت للتأقلم على المعيشة الجديدة.

أُغلق الزُجاج الذي يُحيط بالمقاعد فصاروا وكأنهم جالسون في غرفةٍ مغلقة مُنفردة، لا يرون مَن بالخارج ولا يراهم، انعزل الصوت تمامًا وأمر الچينيرال أحد الجنود بأن يقوم بتشغيل الحاسوب على الحائط حتى يراه كُل الجالسين، وبدأوا الاجتماع بحديث الچينيرال مطولًا عن البلدة التي سيذهبون إليها، فقال: أعلم جيدًا الحمل الثقيل الذي يُوضع على كتفكم منذ الآن حتى تعودوا بسبب تعودكم الدائم على الرفاهية والمعيشة السهلة، ولكن هذا تحدٍ لكم، إن أكملتموه بشكلٍ صحيح ستكافؤون بشكلٍ لن تتخيلوه، البلدة لا يوجد بها أي أساسيات فلن تجدوا الرفائع أيضًا، لذلك سأرسل لكم طيلة وجودكم هناك ما يلزمكم حتى لا تتأزموا سوىٰ قليلًا، الهواتف المحمولة لن تعمل دائمًا بسبب عدم توافرها وتوافر ما يلزم لعملها هناك، ستستلمون جهاز بمعدل واحد لكل اثنين، هو الشيء الوحيد المُتاح للتواصل، وإن كان هنالك شيءٌ هام يجب على البلدة كلها معرفته ستتوجهون بأنفسكم لمذياع البلدة لتُخبروا بها المُتحدثة لتُعلم أهل البلدة، المنازل ضيقة وصغيرة وليست على طرازٍ عالٍ

حتى لا تأخذكم طموحاتكم بعيدًا، أخبركم من الآن حتى لا تبكوا وأنتم على أول الطريق.

كان يتحدث ويظهر على وجه چيوم الضيق من وصفه لبلدته، تمنىٰ للحظةٍ ألا يكون منها أبدًا عندما رأىٰ تعابير وجوههم وهم ينظرون بتقزز مع كل حرفٍ يلفظه قائدهم لهم، انتهى الحديث بقيام كُلٍ من الضباط الأربعة ليستعدوا لذهابهم، وعدوا الچينيرال أن يؤدوا مهمتهم فِي حفظ البلدة على أكمل وجه وأنهم سيتحملون كل ما قاله وأكثر لمجرد الولاء له ليس إلا، ودعوه وغادروا الغرفة ومعهم الجنود المتواجدون، ظل الچينيرال والضابط چيوم في الغرفة بمفردهم ما يقارب الساعة ونصف حتى انتهاء كل الإجراءات، وفي ذاك الحين كان أحد الجنود قد جلب الغداء لهما وبعض المشروبات الغازية أيضًا، جلسا يتناولان الطعام ويرتشفان من المشروب الموضوع أمامهما حتى انتهيا، زامن ذلك حضور جندي يعلمهما أن الأربع ضباط انتهوا من تجهيزاتهم وهم الآن في عرباتهم ينتظرون أمر قائدهم ومجيء الضابط الحاضر من البلدة حتى ينطلقوا جميعًا، استأذن چيوم من الچينيرال وغادر الغرفة بعدما ودعه بحفاوة ذاهبًا باتجاه باقي الضباط، عائدين جميعًا إلىٰ البلدة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

من يعيش المدينة يا «ر» لا يريد العودة إلىٰ تلك البلدة إطلاقًا، لن أعود لا تخف، أخذت كُل ما أريد منهم وبعثت فيهم الرعب بما يكفي، قتلت مَن سبب ليّ الضرر ورحلت بهدوء.

صوت ضحكاتٍ تنم على السُخرية: نعم نعم، هذا ما اعتقدوه.

صمت قليلًا حتى ينهي صديقه حديثه ثم قال: على موعدنا يا «ر»، نتلاقىٰ عندها لتُعلمنا ما سنفعل.

أغلق هارلان الهاتف وهو يستعد للانطلاق للقاء صديقه المُقرب لينطلقا معًا للمحطة القادمة، لن ينجح فيها وحده هذه المرة، لا بد أن يطلب المساعدة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الخامس

كُل عبارات الغموض تختفي في لمح البصر،

إذا كُنت ذكيًا فقط،

ولأنكم أغبياء أُزيد من الألغاز كما أُريد.

-هارلان.

وصل چيوم ومَن معه إلى البلدة دون عناء على عكس المتوقع، جميع العربات تسير بسرعة ضعف عربات البلدة التي اعتاد عليها من قبل، أصبحوا جميعًا على أعتاب بوابات البلدة التي تفصلها كليًا عما حولها، حينها سألهم چيوم هل يودون المرور لرؤية المنازل التي سيجلسون فيها لحين عودتهم أم يذهبون باتجاه المخفر مباشرةً للتعرف على السيد يارون ولرؤية مكان عملهم، فاختاروا الراحة وكانت بداية غير مبشرة بالنسبة لچيوم، ومن ناظري كانت بداية الأنانية.

رافقهم حتى المنزلين اللذين سيسكنون فيهما حتى نهاية المدة المحددة، أخبرهم كما قال لهم الچينيرال من قبل أن كُل اثنين سيأخذان منزلًا لقلتهم في البلدة ولعدم توافر العديد من المنازل المُهندمة كهذه، نظروا جميعًا إلى بعضهم باستياء ثم اختار كُل شخص رفيقه واتجها في مساراتٍ مُختلفة حتى ينصبوا أشياءهم في أماكنها ويخلدوا للنوم، وأخبر أحدهم چيوم أنهم سيذهبون للمخفر في صباح اليوم التالي، لأنهم سيقضون الليل نومًا وتعرفًا على المنزل والمكان حوله، أومأ برأسه مُنمًا عن موافقته ثم تركهم ورحل متجهًا إلىٰ السيد يارون يُعلمه عن وجودهم في البلدة وعن ميعاد قدومهم إلى المخفر حتى يُحسن استقبالهم كما أمره الچينيرال، وصل إلى هناك ودلف إلى غرفة سيده فوجد بوڤير يجلس واضعًا قدمًا على قدم، يتبادل الحديث مع سيده بكل عجرفةٍ ونرجسية، يُزيل كلمة سيد من قاموسه وينابيه «يارون» دون أدنىٰ احترامٍ له، لاحظ بوڤير وجود چيوم عندما فتح الباب ودخل دون استئذان، فوجه إليه الحديث بمنتهى الجدية: أدِر وجهك وخُذ الباب في يدك وأنتَ ذاهب.

أجابه چيوم بضحكةٍ مُصطنعة قائلًا: لكني وصلت للتو، لن أذهب أنا قادم.

أعاد بوڤير جملته دون الاكتراث لحديث چيوم، فتبدلت ملامح السيد يارون وانفعل عليه قائلًا: كيف لكَ أن تأمر ضابطًا يعمل لديّ!

تريث قليلًا ودون أن يرتفع صوته مثل السيد، قال: لم يستأذن قبل دخوله، فاحترامًا لكَ يجب عليه أن يخرج ويعاود الطرق لتسمح له بالدخول، أما عني فاحترامي واجبٌ عليه، ولا أشك أنه يجرؤ على تقليله.

شعر السيد يارون حينها بالإحراج لنفسه وبعدم تقدير چيوم له، فأمره بصوتٍ عالٍ أن ينفذ ما أمر به السيد بوڤير، استدار للخلف وهو لا يعلم ماذا يجري وكيف حصل ذاك الأمر؟ ملامح الدهشة تظهر على وجهه وهو يسير ببطء نحو الباب، خرج وأغلقه خلفه ولم يعاود الطرق مرةً أخرىٰ بل استمر في السير حتى غرفته دون أي يحادث أحدًا، لأول مرةٍ ينفعل عليه سيده ويقلل من شأنه هكذا، يُفكر مليًا كيف استطاع من يُدعىٰ بوڤير بأن يسيطر على تفكيره هكذا، جلس على مقعده تنبعث من عينيه شرارةً من كثرة ذهوله وغضبه، ظل هكذا حتى دخل إليه إحدىٰ الجنود قائلًا له أنهما بانتظاره في الغرفة الخاصة بالسيد بوڤير، وألا يتأخر حتى لا ينزعج سيده فهما يتحدثان بشيء هام ويحتاجانه.

تأخر متعمدًا حتى يفتعل مشكلةً ويستطيع أن يقوم بالرد على المُتعجرف الجالس هُناك، ولكن هُدمت كل توقعاته عندما طرق على الباب وسُمح له بالدخول ولم يُعلق أحد على تأخيره، بل تعامل معه السيد بوڤير وكأن شيئًا لم يحدث وعامله بطريقة جيدة أيضًا، جلس أمامه مباشرةً والسيد يارون في الجهة المقابلة يجلس في الطرف الثالث ليصنعوا مثلثًا بمقاعدهم، بدأ چيوم بسؤالهم عما يدور وماذا يتحدثون؟ فأجابه سيده أنهم يتشاورون في كيفية بدأ الجلسات النفسية لجميع من بالبلدة، فأجابه چيوم بكل بساطة: هل هذه هي المُعضلة يا سيدي؟ سنُذيع الخبر في مذياع البلدة، سيعلم الجميع أنه شيء إجباري وسيأتون واحدًا تلو الآخر ليجروا الفحوصات، هذا كُل ما في الأمر.

لم يستطع السيد يارون أن يتمالك ضحكته فضحك بصوتٍ مرتفع على بساطة الحديث قائلًا وهو ينظر لچيوم: كيف دخلت كلية الشرطة يا بُني؟ هذا الحل إن سمعه القاتل سيموت ضحكًا على عقليتك.

على عكس السيد بوڤير الذي لم يبتسم حتى على حديثه بل اعتدل في مجلسه وبدأ في الحديث بهدوء شديد موجهًا كلامه لچيوم، قائلًا: الأمر ليس بتلك البساطة يا عزيزي.

استوقفته كلمة «عزيزي» وجعلته ابتسم فحصل بوڤير على مراده وأكمل الحديث بقوله: إن أذعنا في البلدة أن هناك من سيقوم بفحص نفسي لكل سكانها حتى نعلم هل من قتلٍ بينهم أم لا، سيستعد القاتل بشكلٍ ما ولن نستطيع معرفته مهما حاولنا، فأولًا يجب أن يكون الأمر سريًا للغاية.

أومأ چيوم برأسه تصديقًا على كلام الضابط ونظر إلى سيده بطرف عينه نظرة بغض، بدأ يرىٰ أنه يتماشىٰ مع مصلحته فقط ولم يكن يُحبه في يومٍ من الأيام، يسير مع التيار ليس إلا، انتهى من التفكير في داخله عندما قالَ له سيده باستنكار: هل فهمت ما يقصد؟

لم يجب عليه وقال وهو يحادث بوڤير: فهمتك سيدي، أكمل حديثك، كيف سنفعل هذا بسرية؟

الضيق ينتقل من وجه چيوم لوجه السيد يارون بالتتالي، وبوڤير يجلس في المنتصف يبتسم لأنه قد استطاع فهم شخصياتهم منذ قدومه واللعب عليها بشكلٍ مُسلٍ له، لذا يعتقد أن أمر أهل البلدة سهل للغاية، مَن استطاع أن يفهم سيد البلدة يستطع أن يُحلل شخصية أقل عاملٍ بها.

سار الحديث بينهم بشكلٍ ثُلاثي، يوجه السيد يارون حديثه لچيوم فيتطرق هو للحديث مع بوڤير الذي يجيب على الاثنين في آنٍ واحد، توصل ثلاثتهم للطريقة التي سيخبر بها أهل البلدة بذاك الفحص ليكونوا أذكىٰ من القاتل إن كان بينهم، تزامنت نهاية حديثهم مع طرق على الباب وإذ بهم الأربع ضباط القادمين من المدينة، سمح لهم بوڤير بالدخول وعندما رأوه تبدلت وجوههم من الضيق للابتسامة الواسعة، تفاوتوا عليه جميعهم يسلمون بحرارةٍ ويرددون عباراتٍ جميلة بقدر سعادتهم برؤيته، سار المشهد في شكلٍ رائع ونظرات غرابة على وجه چيوم والسيد يارون، لم يكونا على علمٍ مُسبقٍ بمعرفتهم لبعضهم، فما جاء إليهما من أنباءٍ أنه من المدينة المجاورة لمدينتهم يعمل بها منذ الكثير من الوقت، قطع چيوم مدحهم في بوڤير الذي يدعونه قائدهم قائلًا: هل تعرفون بعضكم؟

أجابه أحد الضُباط الواقفين بوجهٍ مبتسم: نعم، هذا القائد بوڤير، الأقرب للجميع.

عقد السيد يارون حاجبيه وهو يردد: الأقرب للجميع؟ كيف هذا وهو في مدينة أُخرى؟

أجابه ضابط آخر قائلًا: في فترة تدريبنا كان السيد بوڤير هو المسؤول عن التدريب النفسي، لأنه من أكفأ من يفعل هذا في المدينة والمُدن المجاورة، كان يأتي لنا يومين أسبوعيًا ويتحمل عناء الطريق خصيصًا ليُعلمنا، بذل قصارىٰ جهده في كل شيء خاص بنا، ضحكنا ومرحنا معًا، وبكينا كثيرًا دونه ومعه، كان بمثابة صاحبٍ لنا، لذا نُحبه دونًا عن أي شخص آخر قام بتدريبنا.

كان يتحدث وبوڤير ينظر إليه وهو يبتسم ابتسامة امتنان، ولأول مرة تظهر أسنانه عند ابتسامته بالنسبة لچيوم وقائده، تعجبا من الحديث عنه لأنه لم يظهر لهما أي نوع من الود فور مجيئه، بل تطبعوا عنه أنه شخصٌ متعجرف ومُتعالٍ، لا يحب الناس ولا يريد التعامل معهم، فكان يختصر في كلامه وينتقي أقصر الجُمل، قطع حبل أفكارهما حديث بوڤير ردًا عليهم، قال بكل ودٍ وامتنانٍ كأنه تحول إلىٰ إنسان آخر: أشكركم جزيل الشُكر، لا أعلم ما أردُ به عليكم، أنا أحبكم ومُمتنٌ للأوقات التي قضيناه معًا.

بعدما ابتسم الجميع له بما فيهم چيوم ويارون أكمل حديثه بقوله: ولكن نحن هنا لنعمل، لا لنتحاب معًا، العمل ثم العمل ثم نذهب من هنا في أسرع وقتٍ مُمكن.

قالها بضيقٍ شديد وبنبرة جامدة، مما جعل چيوم يقول له ضاحكًا: هذا هو أنتَ، كنت سأغير فكرتي عن طباعك الشديدة للحظة، الشكر على عودتك سالمًا.

ضحك الجميع بما فيهم بوڤير بعدما عقد حاجبيه ولكن لم يتمالك نفسه، استأذن منهم قائلًا أنه سيذهب حتى يبدأ في تنفيذ ما اتفقوا عليه ثلاثتهم، ودع ضباطه وغادر الغرفة وهو يعدهم باللقاء الكثير في الأيام القادمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تجلس ديّم في منزلها حزينةً ووحيدة، قاربت أن تُحادث الجدران، تعلمت الكتابة في تلك الفترة التي مكثتها بمفردها وما زالت فيها لا تعرف كيف تصبح آنسةً بشيء ما مرة أُخرى، أمسكت بدفترها لتكتُب: عزيزي السيد آرام الراحل بعيدًا في السماء، أفتقدك كثيرًا كثيرًا ولا أعلم هل كنتَ آنسًا بيَّ أم كُنت أنا من تتحسس وجودك في كل وقت، أكانت الجُدران رفيقةً جيدة طوال الوقت أم أنني لم ألحظ وجودها حينما كُنت بين يديّ؟

لم أعلم يومًا كيف يعيش المرءُ دون خليله إلا اليوم، علمتُ وأنا أتصور ألمًا عنك، أتذكر كُل ما نسيت وأندم آلاف المرات على خيانتي لكَ، كم كُنت أتمنى أن تكون هنا حتى أعتذر عن قُبح ما فعلت.

كانت على وشك أن تُغلق الدفتر وتذهب خالدةً للنوم حينما راودتها الدموع فسقطت أولاها على صفحةٍ فارغةٍ فأمسكت قلمها وخطت:

أكتب إليكَ الآن بدموع عيني، التي لم ترضَ في مرةٍ أن تهبط من جفني، لا أتذكر أبدًا أنني غفوت حزينة، متضايقة، أو أشعر بالحرق في قلبي كمثل الآن، لا أتذكر أي شيءٍ سوىٰ أنني خسرتك للأبد وقبل خسارتك نهايتنا كانت غير موفقة.

الآن..

في الخامسة من الساعات التي جلستها دون حراك ناظرةً إلىٰ سقف الغرفة، لا أشعر بشيءٍ سوىٰ وخزٍ في صدري، كيف كُنت قبل أن ألتقيك؟ لا أتذكر.

وكيف كان يمر يومي؟ لم أكن أعيش اليوم إلا خوفًا من الرحيل دون حبيب، وجدتك بعد ضلالة، وضيعتك بعد وجدان، إن لم تكن ميتًا الآن لكنتَ بعيدًا عني لأميال، أظن أن الرحيل كان أنسب حلٍ لكَ، أليس كذلك؟

حبيبي آرام، أشفق عليّ، تعال إليّ حتى في الأحلام، أحبني حين أغفو، ولا تبغضني حين أصحو، لا تبغضني أبدًا أبدًا، تقبل ندمي، تقبل حُزن ديِّم التي تُخطئ للمرة الأولىٰ، وكأنها أخطأت بعمرها جُله، عزيزي آرام الراحل في السماء الواسعة، تلون على هيئة نجمٍ مُضيء، فأنا لم أعد أراك.

ضمت جسدها وتوسدت الأريكة، تبكي اشتياقًا وندمًا، وكأن عُمرها قد مر هباءً دون أن تكتفي من آرام، ظلت تُفكر مليًا حتى غفت في مكانها.

في صباح اليوم التالي تستيقظ ديِّم على طرقٍ على باب منزلها، لا يتوقف الطرق أبدًا مما جعلها تقفز من الأريكة وهي تشعر بألمٍ شديد في مفاصلها وعظامها، تتأوه وهي تتوجه إلى الباب لتقول أنها ستفتح بعد قليل، لأنها ما زالت تستيقظ ولا يصح الطرق بهذا الشكل، عندما سمعت صوت مَن خلف الباب علت ابتسامتها في وجهها وهمت فاتحةً له متغاضيةً عن شكلها الناعس، عندما فتحت ووجدته أمامها قفزت عليه وتشبثت به كثيرًا وبكت دون إرادةٍ منها، لم يفهم ما هذا الفِعل الغريب بالنسبة له لأنه تركها أمس وقال لها أنه سيعاود المجيء، تركها حتى انفكت يداها وحدها ودخلا معًا فأخبرها أنه سينتظرها على الأريكة أمام التلفاز لحين ذهابها لدورة المياه، لتغسل وجهها وتُهندم ثيابها ثم تعود له، تركته متجهةً نحو غرفتها بعدما انتهى من حديثه، جلس يُرتب في كل شيء إلىٰ حين عودتها، رتب المكان بشكلٍ جميل حتى وقع في يده دفتر صغير لونه أزرق، أخذه الفضول كي ينظر ما بداخله وقال في نفسه أنهما الآن لا فرق بينهما، فمن الطبيعي أن يتفقد أشياءها دون وجودها، فتح أول صفحة فوجدها فارغة لا يُكتب بها أي شيء، والثانية كذلك والثالثة حتى وصل لمنتصف الدفتر، كان على وشك أن يتركه من يده حينما قلب عدة صفحات أخرى فوجد كلامًا مكتوبًا، أوله: مرحبًا أنا ديِّم، أتعلم الكتابة جديدًا.

ابتسم لأنها وجدت موهبةً داخلها وبدأت في استكشاف نفسها، أكمل القراءة فوجدها قد كتبت عنه قائلةً: انتشلني من ضياعي، حبيبي «وذكرت اسمه»، رسالة طويلة قرأها وثغره باسم لا تفارق عيونه اللمعة، أكمل القراءة لحينما قلب الصفحة فوجد كلام كثير مُحبر والحبر باهت، وكأنه انسكبت عليه قطرات مياه، بدأ في قراءته بادئًا بـ»عزيزي آرام» تبدلت ملامح وجهه فورًا لكرهه الشديد له، مع كل سطر كان يقرأ كانت ملامحه تنفجر غضبًا وتزداد حرارة جسده من كثرة الضيق، ظل هكذا لمدة دقيقة لحين إنهائه للكلام المكتوب، صاح بصوتٍ عالٍ: ديِّم، أين أنتِ؟

جاءت مسرعةً على صوته لتراه يستشيط غضبًا وتنظر لتجد الدفتر بين يديه مفتوحًا على ما كتبته أمس، تبدلت تعابير وجهها للخوف، تبادلا النظرات الصامتة لدقيقةٍ كانت ترتجف فيها كثيرًا والقلق قد وصل إلى آخر عنقها،

حينها تحدث قائلًا: يُمكنني تفهم حنينك لآرام في حالة واحدة، هي أنكِ كنتِ سعيدة معه، ولكن ما هذا الآن؟

أما كُنتِ تقولين لي دائمًا أنا لا أُحبه، أنا لست سعيدة، انتشلني منه أرجوك بأية طريقة! ارتفع صوته أضعاف ما كان قائلًا: أتتقززين مني وتقولين على ما بيننا خيانة له حتى في موته؟

ظلت صامتة لا تتفوه بكلمةٍ واحدة، تنظر له نظرات ندمٍ عما خطت، وتعتذر له بأعينها الباكية، هدأ قليلًا بعد عدة دقائق من السير في المكان ذهابًا وإيابًا وقال: حسنًا، أنتِ مَن اخترتِ، لم يعد هناك أي شيء يربطنا، وداعًا.

لم ينتظر أن تتلفظ بحرفٍ واحد، ذهب تاركًا كل ما أتى به من حنين إليها خلفه، ضرب الباب بقوةٍ وهو مغادر المنزل، بينما جلست دِيِّم على أقرب مقعدٍ لها وبدأت تجهش في البُكاء، كانت تريد أن تقول له أنه مجرد حنين عابرٍ وأنها كانت ستقطع تلك الورقة فور استيقاظها لكنه جاء فجأةً، لا تريد أن تخسره أبدًا، لا تعلم هل لأنها حقًا تحبه أم أنه مَن أمامها فقط ولا تريد العيش في الحياة وحيدة بلا شخصٍ واحد على الأقل يتفقد أحوالها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

"هارلان"

الانتظار مُمل جدًا جدًا، لا أحبه أبدًا وأشعر بالاختناق عندما أجلس فارغًا دون فعل شيء، حتى التخطيط لما سيحدث بعد هذا الحين لا أستطيع التفكير فيه دون مرور الخطوة التي أنتظرها، قارب صديقي المُقرب «ر» على الوصول، بعدها سيتبقى عدة خطواتٍ وأصل لما أريد، شعور اللذة في فمي من الآن، سأنتظر هذه المرة أيضًا؛ لأن الانتظار يستحق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دخل چيوم إلى غرفة السيد يارون ليجده لم يحضر بعد، صاح بصوتٍ عالٍ على إحدىٰ الجنود ليخبره أن يحضر مشروبه هنا وأن يخبره حين وصول سيده مباشرةً ويستدعي الضباط الجدد والسيد بوڤير إلىٰ مكتب الاجتماعات لأن الأمر طارئ، أومأ الجنديّ وغادر الغرفة مغلقًا الباب خلفه دون إصدار صوتٍ مزعج، ظل ينتظر ما يقارب الساعة بعدما أحضر الجنديّ مشروبه للمرة الثانية حتى جاء قائده، بعدما سلما على بعضهما بالإشارات والابتسامات جاء جنديٌ من خلف الباب ليُعلم چيوم أن ما طلبه قد نُفذ وأن الجميع ينتظرونه في غرفة الاجتماعات عدا السيد بوڤير فهو الآن في أولىٰ جلسات الطب النفسي مع إحدىٰ سيدات القرية، تعجب قليلًا لأنه قد بدأ بالسيدات ولكن فهم بعد ذلك لما فعل هذا، بدأ في تنفيذ ما اتفقوا عليه أمس.

أما عن السيد يارون فقد بدت على وجهه علامات الاستفهام، فقال سائلًا چيوم: ماذا طلبت وأنا غائب؟ ولم ذهبوا إلى غرفة الاجتماعات دون علمٍ ليّ؟

أجابه وهو يسير باتجاه الخارج مشيرًا له أن يسير أيضًا حتى لا يتأخرا، قائلًا: الأمر هام جدًا يا سيدي، يجب علينا أن نجتمع، أتيت إلىٰ هنا حتى أخبرك فلم أجدك، دعنا نكسب الوقت ونذهب.

سار السيد يارون وهو يتعجب مما يفعل چيوم، ولكن أكمل معه حتى وصلا إلىٰ غُرفة الاجتماعات، دخلا فسلما على كافة الضباط، ثم جلسوا جميعًا وبدأ چيوم بالتحدث.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

"هارلان"

نتلاقىٰ مع أحبتنا بسلامٍ عميق نابع من صميم القلب، وعندما ألتقي مع «ر» خصيصًا تتراقص الدُنيا في عينيّ، أن أجد من يتقبلني بأسوأ الصفات، أفضل ممن يحبونني في الصلاح فقط، جميع من صادقوني طوال حياتي كانوا يرون ما أميل إليه فيسلكون طريقًا آخر، يختارون الراحة دوني على الحرب بجانبي، إلا هو، كان الوحيد الذي أحبني بصدق، وقبل بيّ دون أي شوائب أراها في عينه تجاهي، كان صديقي الوحيد دائمًا، لذا آمنته على ما لا أثق في قوله لأي شخص آخر، أتذكر جيدًا عندما علم أنني ممن يتلذذ بلحوم البشر ضحك ساخرًا لأنه ظن أن الأمر أكبر من ذلك، لا أعلم ما أكبر من تناول لحمه على الغداء مثلًا ولكن تقبل الأمر بصدرٍ رحب، ودَّ كثيرًا أن أخضع للعلاج ولكن عندما قصصت عليه ما حدث ليّ وأخبرته أنني أُريد الانتقام بشراهة فكر لمدة لا تزيد عن الخمس دقائق حرفيًا ثم رفع وجهه إليّ متبسمًا: معكَ في جميع الأحوال يا هارلان، إن قُلت لي سأموت اليوم؛ سأقول فلنذهب للجحيم معًا.

هذا ما قاله وما ردّ به عليّ، نظرت إليه نظرات صامتة، ملامحي تبكي وعيني ثابتة، لم أكن أصدق أبدًا ردة فعله حتى قال لي: ولكن بشرطٍ واحد، أن تتعافىٰ منه بعد انتهاء تلك الأحداث وإلا سأستيقظ يومًا لأجد ذراعي يُطهى على العشاء.

قالها مازحًا وهو يضرب على كتفي لأضحك أنا أيضًا، كان هو الشخص المثالي، يشوبه الكثير من الأشياء الخاطئة مع الجميع إلايّ، يأتي إلى عندي ويستقيم.

رأيته للتو على بُعد مترٍ واحدٍ مني، جاء مسرعًا في سيره يرتمي بجسده عليّ لأغوص داخله، أحيانًا أشعر بالارتياب حول طريقة سلامنا وأتذكر بعدها أننا أصدقاء فأبتسم وأطمئن، بعدما تخطينا فقرة السلام الذي يظل طوال الوقت الجالسين فيه بدأنا بالحديث الهام، قلت له بطريقة جديةً: نحن الآن على

وشك تنفيذ آخر جزء في الخطة، الخيط القادم هو فصل النهاية بالنسبة لنا، إن فعلناه على أكمل وجه لن يكون هناك أي قلق من النهاية الفعلية، فمن أين سنبدأ؟

أجاب عليّ باهتمامٍ كبير ودقة: أنصت إليّ جيدًا يا هارلان..

الخطوة الأولىٰ، سنسافر.

أعلم أنك تهاب الطائرات، ضحك باستهزاء قائلًا: آكل لحوم البشر يخاف السماء.

أجبته قائلًا: أخاف أن أصعد فلا أهبط منها، أُكمل السير في الأعلى إلىٰ الأبد.

نظر إليّ نظرة سخرية علمت أنها على سبيل المزاح ليس إلا وأكمل قائلًا: لا تخف، إن ذهبتَ سنذهب معًا، بعدما نصل إلىٰ وجهتنا سنتقابل مع صديقتي أسيل، حادثتك عنها من قبل.

أومأت برأسي أنني أتذكرها، كان قد أكل رأسي حديثًا عنها منذ عامين، تعرف إليها في مؤتمرٍ سافر إليه ومن حينها وهما أصدقاء، أشرت إليه أن يُكمل حديثه، فأكمل: لا تقاطعني بتفكيرك مرةً أخرى، اتركني لأُنهي حديثي. هي على علمٍ مُسبق أننا ذاهبون، أخبرتها أنك باحثٌ في الطب النفسيّ وأنني تعرفت إليكَ في نفس المؤتمر، بدلت اسمك باسم شخصٍ كان هناك يُدعىٰ ستيفن، مدحتكَ كثيرًا حينها لأنه شخص ناجح جدًا في مجاله، أخبرتها أيضًا أنك تُجري بحثًا عن عدة أمراض، وأنك تحتاج لمهارتها في علاج المرضىٰ وبعض التحليلات الشخصية والطبية لهم، رحبت بالفكرة كثيرًا بعدما سألت ألف سؤالٍ وسؤال، المُهم الآن أننا سنتحرك في مساء الغد، سأجد فرصةً لآخذ قسطًا من الراحة في عملي، سأخبرهم في الشركة أنني سأذهب في رحلة عائلية لأسبوعٍ متواصل، ثم آتي إليكَ لنذهب.

انتهى من حديثه بالتأكيد عليّ أن أحزم أمتعتي ولا أخاف من الرحلة، وأنه بعد تلك الخطوة سيكون قد نفذ كُل ما في مقدرته، والمُتبقي ليَّ، شكرته كثيرًا ثم ذهبنا لتناول الطعام ليغادر بعدها عائدًا إلى عمله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل السادس

كُل ما في الأمر أنني لا أُحب غلق اللعبة

دون تركِ أثر دائم لكل مَن فيها

وهذا يُزعج الكثير

ولأنني لا أعطي اهتمامًا لانزعاجهم

ألعب كثيرًا.

في البلدة داخل غرفة الاجتماعات في المخفر، يجلس الجميع مستمعًا لچيوم بأُذنٍ مُصغية بعدما وجودوا حديثه مُهمًا كما قال لهم في البداية، قاطع حديثه طرقٌ السيد بوڤير على الباب ودخوله بعد الطرقة الثانية قائلًا: لم يجب أحدٌ عليّ، فكان يجب أن أقتحم ما تقولون.

قالها مازحًا ثم وجه حديثه لچيوم قائلًا: نأسف للتأخير يا سيد.

ابتسم له چيوم، جلس فأكمل حديثه من حيث توقف قائلًا: من حسن الحظ أنك جئت الآن، كنت سأبدأ بالحديث عما اتفقنا حيال طريقة معرفة القاتل من بين سُكان البلدة، هل سار الأمر على ما يُرام اليوم؟

أجابه بوڤير قائلًا: بدأتُ في التنفيذ، ففي الصباح الباكر طرقتُ الباب على أحد منازل البلدة، بدأت من أقصاها حتى لا أنسىٰ أحدًا، فتح لي كهلٌ يبلغ السبعين عامًا وسألني على الفور ما أتىٰ بي إلىٰ هنا في هذا التوقيت النائم ومن أين؟ فأجبت عليه ببطاقة المخفر الخاصة بي، حينما قرأ طبيب نفسي برتبة ضابط، بكىٰ قائلًا لم أفعل شيئًا يا سيدي، سرد لي قصة حياته في السبعين عام الماضية وهو يرتجف ويترجاني ألا أفعل له شيئًا، استيقظت ابنته على صوته مفزوعةً وأتت إلىٰ الباب لترىٰ ما يحدث، عندما رأتني وقرأت ما قرأ احتضنته وقالت له: اهدأ يا أبي، لن يفعل لكَ شيئًا.

كنت قد بدأت حينها في تحليل شخصياتهما، الكهل جبان جدًا لدرجة أنه لا يستطيع فعل شيء، وابنته مثله تمامًا مع مراعاة أنها حاولت التماسك أمامي وظهرت بمظهر الفتاة التي لا تهاب ضابط شرطة، ولكن لاحظت ارتجاف قدمها ومحاولة السيطرة عليها، استأذنتهما أن يستضيفوني عندهم قليلًا لأنني أُريد أن أتحدث معهم حول شيءٍ ما، أذنت لي الفتاة واستأذنت مني أن تأخذ والدها إلىٰ غرفته ليهدأ ثم يخرج إليهم مرةً أُخرى، قُلت لها لا بأس بذلك، اصطحبتْهُ إلىٰ غرفته وجلست أنا على الأريكة الصغيرة عندهم، لم تكن مُريحةً إلىٰ حدٍ كبير، تغاضيت عن الأمر وبدأت في قول ما اتفقنا عليه، قُلت:

أعتذر أولًا على حضوري في هذا الوقت الباكر، ولكني لم أرد أن يراني باقي السُكان حتى لا يقولوا شيئًا سيئًا عنكما، تعلمين تفكير هذه البلدة أفضل مني.

أومأت برأسها مشيرةً إلىٰ أنها تتفق مع حديثي فأكملت بقول: أنا الطبيب بوڤير، لست ضابطًا بشكلٍ كُلي بل أنا أعمل في مهنة الطب النفسي وأُمارسها على المُجرمين.

عقدت لي حاجبيها بشكلٍ أضحكني فقلت لها: لم أقصدكما بتلك الجملة، أعرفك بنفسي فقط، المُهم..

أتيت إلىٰ هنا لأجمع المعلومات عن سكان البلدة، حتى نحاول بكل ما أُوتينا من سعة أن نوفر لكم معيشة أفضل، وأيضًا لتُدلي ليّ بأي معلوماتٌ لديكِ عن القاتل هارلان.

قاطعتني قائلةً بتساؤل: الأُولىٰ وقد فهمتها، الثانية لم أفهم ما تقصد تحديدًا، ماذا سأعرف أنا ووالدي عن ذاك القاتل اللعين؟

أجبتها: أي شيء سمعتيه أو رأيته، أو وصلك معلوماتٌ عنه، أي كلمة ستفيدنا كثيرًا.

وآخر شيء، سأضطر لأخذكِ أنتِ ووالدك للمخفر واحتجازكما هناك لليلة واحدة في نفس الزنزانة التي قُتل فيها الذين زعموا أنهم تابعون لهارلان.

تبدلت ملامحها مائة وثمانين درجة للغرابة، علمت سؤالها قبل أن تسأل وقبل أن أُجيب اندفعت قائلةً: كيف هذا؟ أتريد أن تُرسلنا للموت بأقدامنا؟ نُسلم له أرواحنا على كف عفريت، لا لا، لن نقبل بهذا الهُراء.

نظر إليه چيوم نظرة توحي بأن كل شيء كان يسير معه على ما يرام، وسأله: أفعلت بعدها ما اتفقنا عليه؟

فأجابه بوڤير: نعم بالطبع فعلته، دعني أُكمل لكَ.

أخبرتها في هذا الحين أن المكان سيكون آمنًا جدًا، وأنه مجهز بكل شيء سيحتاجونه لليلة واحدة، وأيضًا سيحرسهم كثير من الجنود حتى انتهاء الليل.

وكما توقعنا جميعًا من قبل، لم تطمئن كُليًا، بدأت في التفكير وتبدلت ملامحها للحيرة عندما أخبرتها أن لهذا مقابلًا ماديًا، لن يفعلوا أي شيء دون وجود ما يُعبر عن امتناننا لمساعدتهما، قالت ليّ وهي مترددة: سنفكر في الأمر.

حينها خرج والدها من الغرفة مرحبًا بيّ، واعتذر عما بدر منه أمامي وبرره بخوفه من الضباط جميعًا، يراهم قاهرين فلا يحبذ التعامل معهم، أخبرته أنني

أتفهم ذلك وأتقبله بصدرٍ رحب، شاورتهُ ابنته في الأمر الذي أخبرتها به فقال ليّ: لا نقبل، أخاف المخاطر.

أخبرته أنه أمر بسيط لن يستغرق الكثير، وزدتُ على حديثي وجودك يا چيوم معهما في نفس الزنزانة ليلًا، حينها اطمأنوا قليلًا، قلت لهما أنني سأذهب للمرحاض وأعود لأعلم إجابتهما، تركت لهما وقتًا كافيًا ليفكرا وبعد خمس دقائق عُدت إليهما، فأخبرني الكهل أنهما موافقان إن كان السيد چيوم سينزل معهما إلىٰ الأسفل فعلًا، شكرتهما وأخبرتهما بموعد التنفيذ واستأذنت لأذهب.

نظر إليه چيوم مرةً أُخرىٰ بعدما أنهىٰ حديثه وقال له: ألم أخبرك أن الجميع سيوافق عند علمهم أنني سأكون معهم؟

نظر إليه بوڤير نظرة توحي بخبثه قائلًا: ماذا فعلت لأهل البلدة حتى وثقوا فيكَ هكذا؟ كُل مَن مررت عليهم اليوم وافقوا عندما ذُكر اسمك، يرفضون رفضًا قاطعًا ثم أتفوه «سيكون الضابط چيوم معكم في تلك الليلة» فتنزل عليهم السَكينَة والهدوء ويعلنوا موافقتهم على ما قُلت، ماذا فعلت حقًا؟ فضولي لا يحتمل.

ضحك چيوم وهو يبدأ بالتحدث عما فعل قائلًا: لم أفعل الكثير صدقني، فقط بعثت للچينيرال أنني بحاجة للدعم الماديّ لأنتهي من بضع الأشياء في البلدة، وأعلمته بما أود فعله، أرسل إليَّ الكثير على عكس توقعاتي، فأخذت بعض الجنود معي وذهبنا لكل منزلٍ في البلدة لم نترك أحدًا، أتودد إليهم وأتحدث لهم حديثًا يبعث لهم الطمأنينة تجاهي وأعطيتهم مبلغًا قليلًا من المال ولكن أسعدهم كثيرًا وشكروا فضلي أكثر، جلسنا ما يقارب الخمس دقائق في كل منزل، ورغم أن الحديث كان سريعًا ولكنهم وثقوا بي.

غمز چيوم لبوڤير مُكملًا: ليَّ أسلوبٌ خاص يا عزيزي، فعلت هذه الأشياء مع جميع سُكان البلدة، بحيث تكتمل الخطة ولا نحتاج لأي شيءٍ آخر، لأني أصبحت عندهم باعثً آمان لا يُمكن أبدًا أن أُلحق بهم أي ضرر.

تدخل السيد يارون في الحديث موجهًا كلامه لچيوم قائلًا: تفكيرك هذه الآونة جيد، تفكر في مصلحة المخفر والبلدة، ما رأيك أن تترقىٰ لمرتبة آرام السابقة؟

وافق چيوم على الفور فرحًا بذاك القرار، انهالت عليه المباركات من كافة الموجودين واتفقوا على الاحتفال به بعد الانتهاء من كل تلك الفوضىٰ التي حلّت على المدينة، وانتهى اليوم باتفاقهم على أن ينقسموا لأربع فرقٍ كُل واحدة تذهب لعدة منازل في البلدة، وتكون مسؤولة كليًا عنها حينما يأتي

دورها في أن تنزل إلى الزنزانة، استأذن بوڤير أن تكون فرقته هي الأخيرة حتى ينتهي من تفقد كل عائلة في البلدة ويستطيع أن يكتشف القاتل بينما تلك اللعبة قائمة، فيجب عليه أن يتواجد في الأربع فرقٍ ولكن منفردًا عنهم، وافق الجميع وبدأوا بفعل المهام المطلوبة منهم على الفور.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

"هارلان"

لا أصدق أننا على قرابة مما أُريد فعله منذ فترة فعلًا، الأمر كان أشبه بالمستحيل، ولو كان أحد قال لي: يا هارلان، ستصل لمُرادك غدًا.

لم أكن لأصدقه أبدًا، أخاف الطائرات نعم، ولكن كُل شيء يهون أمام مطلبي، أثأر لولدي الذي لم أحظىٰ بفرصةٍ واحدةٍ لأراه، ولم يحالفني الحظ أن يُقال ليّ «أبي» منه، بداخلي لهيب لن ينطفأ سوىٰ بآخر قطرة دم تُنزف منهم، قارب صديقي «ر» على القدوم، سنتحرك فور مجيئه متجهين لدولة أخرىٰ، لأول مرة سأصعد للهواء، سأدقق في شعوري حينها حتى أقصه عليهم المرة القادمة وأنا أجعلهم يصعدون وللأبد.

بعد مرور ساعة كاملة، كُنت قد أتممت وضع أغراضي التي سأحتاجها كُلها في حقيبة السفر، لم تكن لديّ واحدة ولكن عندما أخبرني صديقي بضرورة وجودها ذهبت وتسوقت حتى جلبت واحدةً كبيرة سوداء اللون، ستفيدُني فيما بعد، من الممكن أن أجمع بها أعضائهم بدلًا عن الحقيبة المهترئة التي بحوزتي، خرجت أمام المنزل واستقلّلتُ عربة استأجرتُها حتى توصلني للمطار، فصديقي كان قد حادثني من قرابة نصف ساعة قائلًا أن الخطة قد غُيرت وأن نتلاقىٰ هناك أسهل مما يأتي ونذهب معًا لنفس المكان، وافقت وأخذت العربة وسرت في طريقي له، الطريق طويلٌ بما يكفي لأخطط لكل شيء سيحدث عندما أرىٰ أسيل، كيف سأتقمصُ دور ستيڤن هذا، كيف ستأحدث وبما سأتحدث، كان عليّ أن أزِنَّ حديثي جيدًا حتى لا يُكشف أمرنا، فقد أخبرني «ر» أنها ذكية ولديها مهارة في كل شيء تفعله، فإن أخطأت في شيء واحد سننتهي، كنت قد أجريت بحثًا عمن يُدعى ستيڤن وجلبت أدق التفاصيل عن حياته، جميع المؤتمرات التي قد شارك فيها من قبل، كيف يتحدث وهذا علمته من مقاطع الفيديو المتداولة له، كم يبلغ في العمر ووجدت أنه على مقربةٌ مني في ذلك، هل لديه أولاد أم أنه ما زال عازبًا لهذا العُمر؟ وجدت له ولدًا واحدًا يُدعى ماركل، شكله جميل جدًا وأسلوبه لبق، أظهره معه خمس مرات في مقاطع الفيديو على أوقاتٍ متفرقة، درست جيدًا وتمنيت أن ينجح الأمر.

انتهيت من التخطيط فور وصولي للمطار، تركتُ العربة في جانبٍ هادئ وأرسلت للرجل الذي استأجرتها منه موقعها حتى يأتي ويأخذها وتركت له مبلغًا ماليًا داخلها غير الذي دفعته مقدمًا لشكره على جودة عربته وراحتي بها، فتحت الجزء الخلفي لها وأخذت الحقيبة الخاصة بي وسرت تبعًا للموقع الذي أرسله لي صديقي حتى وصلت إليه، سلمنا على بعضنا كثيرًا وبعد السلام نظر إلىٰ الحقيبة التي أحملها بيديّ وقال: هل تلك التي بيدك بها كافة الأشياء التي تحتاجها في الأربع أيام القادمة؟

أجبته قائلًا: نعم هي، استخدمت طريقة ستيفن الذكية في أخذ الأشياء الضرورية فقط كما يفعل، فقد وجدت أنه سُئل في إحدىٰ الحوارات الصحافية منذ عام واحد عن سر أخذه لحقيبة واحدة فقط، فأجاب أنه يأخذ الأهم فالمُهم فقط، وإن احتاج شيئًا استثنائيًا وهو مسافر يقوم بالتسوق عنه، وهذا يساعده كثيرًا في تخففة العبء من عليه، يذهب خفيفًا ويعود على حسب الظروف.

ظهر الانبهار على وجه صديقي وخمنتُ أنه من تفكيري الشديد في الوضع المُقبل علينا والتخطيط الذي يظهر من الآن أنه جيد جدًا، أثنى على تفكيري ثم اتجهنا لإنهاء إجراءات السفر والصعود على متن الطائرة لمقابلة أسيل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الأمر في البلدة يسير على ما يُرام منذ الصباح، لا أحد يرىٰ الآخر من كثرة الأشغال التي حلت عليهم فجأة، كُلٌ يعمل في صمت دون الالتفات لأحد، البلدة لأول مرة تكون متعاونة بهذا الشكل، يريدون أن ينتهوا من تلك الأشياء فورًا بعدما سمعوا المُتحدثة تقول في المذياع الخاص بهم: الضابط چيوم سيكافئ الجميع فوق مكافأة السيد بوڤير عندما ننتهي من كل شيء، فكُلما عجلنا بالأمر كان أفضل لنا.

انتهى اليوم بسرعة على عكس باقي الأيام وتوالت الساعات الأولىٰ في اليوم التاني بالانتهاء أيضًا، البلدة نشطة والجميع متكاتفون.

أما عن ديِّم، فهي تجلس بين حوائط منزلها تبكي الوحدة، تحاول كثيرًا أن تصل لحبيبها دون جدوىٰ، تكتب الكثير من النصوص لآرام معلنةً الندم وبعدها تمزقها لتكتب لحبيبها الجديد، تغفو وتستيقظ وهي فارغة، قاربت على الدخول في اكتئابٍ إن لم تكن فيه بالفعل.

«ديِّم»

الساعة السادسة مساءً والجو هادئ، لن يخطر ببال أحد أن هناك فتاة في ربيع عُمرها مقدمةٌ على الانتحار في هذه الساعة، لا أحد ينتحر في وقت

الغروب عمومًا.

السيد آرام العزيز..

أنا الآن على حافة النافذة أجلس، أمسك بدفتري الصغير الذي تحمَل معي الأيام الماضية، أنظر إلىٰ الأسفل وأبتسم كثيرًا، لا أحد يحب الصعود إلىٰ السماء للأبد إلا إذا كان سيلتقي بأحبته مثلي تمامًا، عندما آتي إليكَ سأخبرك كم كان الحنين يدفعني في أيامٍ خوالٍ وكم كنت سيئة لأيامٍ أُخر، أُحب أحدًا في يومٍ والآخر في الذي بعده، صحيحٌ أنني لم أجمعكما داخل قلبٍ واحدٍ في ليلةٍ واحدة، ولكني بشعة كنت أحبكما حسب ما يميل إليه قلبي.

أيقنت الآن أنيِّ امرأة بغيضة، خائنة ومشاعري مُتقلبة، لكن لأوضح لكَ شيئًا؛ لم تكن زائفةً في يومٍ أبدًا، وهذا ما أستطيع الجزمَ عليه أمامك عندما نلتقي، كم تمنيت يا حبيبي أنَ أكون امرأة صالحة، كم تمنيت ألا أصل لتلك المرحلة من الوحشية، خسرتك أولًا وبعدها حبيبي.

«هذه الصفحة لحبيبي الذي هجرني بعدما قرأ آخر نصٍ كتبته».

وضعتُ النقاط على الحروف وأنا أحترق، بعدها ألقيتُ ما بجوفي على الصفحات.

أعلم يا حبيبي أنكَ ستحزن ولو قليلًا عليّ، وأعلم أنني مخطئةٌ في حقك، أعطيتني الاهتمام والحب، أعطيتني السؤال وعدم الوحدة وأنا أعطيتك الخيبات المُتتالية.

لا أنكر أبدًا أنك كُنت الظل الذي أتكئ عليه للهرب من آرام عندما كان حيًّا، لا أعلم لِمَ كُنت أهرب من الأساس ولكني وجدتك أمامي في ذاك الحين، حاولت قدر الإمكان أن توفر ليَّ جوًا جميلًا حتى لا أعبث أمامك، ولكنك وللأسف الشديد لم تستطع أن تُحبني كما فعل هو، خُنت زوجي وأنا معكَ، وخُنتكَ معه وهو غائب، كان من المُفترض ألا تثق في خائنة، وألا أثق أنا في خائن.

كل هذا الحديث لا يهم الآن، الذي يهمك فعلًا أنني أُحبك الآن، قبل رحيلي بدقائق، أشعر أنني أُحبك من صميم القلب، وداعًا يا حبيبي.

مع حُبي الصادق:

ديّم متقبلة الأحوال.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«هارلان

وصلنا إلى «مصر» منذ ساعاتٍ كُثر، الطريق كان طويلًا جدًا بالنسبة ليّ، لذا ذهبنا إلى أقرب مكانٍ لنستريح، غفوت بقدر ما غفوت ولم أستطع أن أقاوم الدوار الذي يرافقني حاليًا، من أول صعودي للطائرة وأنا أشعر أن الدنيا تدور بيّ، جلست في مقعدي ووضعت حزام الأمان، حاولت تهيئة نفسي أنني سأكون في الجو بعد عدة دقائق، بجانبي صديقي مُسترخيًا وينظر من النافذة مبتسمًا وكأنه ذاهب لمدينة الألعاب وليس للارتفاع عاليًا عن الأرض معي، بدأت الطائرة في السير حتى ارتفعت قليلًا عن الأرض ومن ثم وجدت نفسي بين السحاب، لو أخرجت يدي من النافذة المُغلقة سألامسه حقًا، شعرت بالخوف الشديد يعتليني، فلا يوجد أسفلي شيء سوىٰ المقعد الذي أجلس عليه وهيكل الطائرة، حاول صديقي أن يهدئ من روعي بإخباري أن نسبة الحوادث الجوية ضئيلة وأنه سافر كثيرًا ولم يحدث شيء، الطائرة لن تنتظر اليوم الذي سأركب فيه لتتدمر مثلًا، اقتنعت قليلًا فهدأ جسدي ثم استكنتُ كليًا، وبعد أول طائرة أصبحت مهيئًا نفسيًا للطائرة الثانية، لم أكن أعلم عن أنهم عدة طائرات ليست واحدة فقط، وأيضًا لم أكن أعلم أن الطريق لمصر صعب هكذا، بعد ساعاتٍ كثيرة وصلنا كما قلت سابقًا وأنا أجلس الآن على فراشي في الفندق أستعد لأخذ ملابسي وارتدائها في المرحاض ثم النزول مع صديقي لمقابلة أسيل، الجو هُنا جميل فلم أحتج أن أرتدي شيئًا ثقيلًا، سأتجهز حتى لا أتأخر الآن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في المدينة الكبيرة، تتسطح ديِّم إحدى أفرشة المشفىٰ، «محاولة انتحار فاشلة» هذا ما قاله الطبيب لرجلٍ جاء حين هاتفوه وبرروا له معرفتهم به لأنها كانت تكتب الرقم في آخر دفترها، استأذن منهم أن يدخل إليها ليطمئن عليها، أذنوا له فطرق الباب ثم دفعه ببطء ودخل، أدارت وجهها عنه عندما وقعت عينيها عليه وبدأت في البكاء بصمت شديد، اقترب منها حتى إلىٰ أمام الفراش الذي تنام عليه، أدار وجهها ببطء له وربت على شعرها لعدة دقائق دون أن يتفوه بحرفٍ واحد، حتى هدأت وكفت عن البُكاء، حينها بدأ بالحديث قائلًا: لِمَ يا ديِّم؟ أنا أُحبك وأنتِ تعلمين هذا، الغضب الذي كان عندي زال بمجرد ما هاتفوني قائلين حبيبتك أقدمت على الانتحار، لكن الشكر أنها بخير الآن، أخذت منكِ موقفًا حتى تعرفي أنكِ أخطأتِ، ليس لتحاولي حرماني منكِ للأبد!

بدأت في البُكاء مجددًا وهي تحاول الحديث ولكن لا تستطيع، يؤلمها الجرح الموجود بيدها وتشعر بالغثيان بسبب ما تناولت، قال لها محاولةً منه أن تهدأ مرةً أُخرى: لا أريدك أن تجيبي الآن على أي شيء، أُريد فقط أن تكوني بخير، وبعدما يحدث هذا سنتحدث مطولًا.

قبَّل رأسها وضمها إليه بهدوء حتى لا تتألم من الجرح مرةً أخرى، ظلت هكذا حتى غفت فابتعد قليلًا عنها، خرج من الغرفة وأخبر الطبيب أنه سيذهب لمنزلها وسيعود مرةً أخرىٰ، حتى إذا استيقظت تكون على علمٍ بهذا ولا تخف، دلف مرةً أخرىٰ إلى الغرفة ممسكًا بقلمٍ وورقة صغيرة جلبهم من الخارج، كتب عليها «ذهبت لمنزلك وسأعود عند استيقاظك، لا تخافي» تركها بجانبها وغادر المكان وهو يلوم نفسه ألف مرةٍ على أنها وصلت إلىٰ تلك الحالة بسببه، بالتأكيد كانت وحيدة في كل المدة التي لم يطمئن عليها فيها، ذهب متجهًا لمنزلها حتى يعود ليأخذها ويرجعا إليه، وصل إلىٰ المنزل فوجد الباب قد كُسر، من الواضح أنه كان مغلقًا بإحكام وعند مجيئهم لمساعدتها كسروه ليعبروا، هاتف أحد العُمال حتى يأتي ويصلحه، ثم دلف إلىٰ الداخل فوجد الدماء تلطخ الأريكة وبجانبها دفتر دِيِّم عليه دماء أيضًا ومفتوح على صفحة يكتب بها الكثير من الكلمات، التقطه على الفور وكان على وشك القراءة ولكنه قاوم فضوله وقطعه وذهب ليجلب شيئًا لتنظيف الأريكة ثم رماه في سلة المُهملات الموجودة في المنزل، لأنه كان سببًا في تركها بمفردها المرة السابقة، نظف كل شيء ورتب المنزل ثم عاد للمشفىٰ فوجدها أفضل مما كانت عليه، انتهى من إجراءات الخروج لها وأخذها وذهبا لمنزلها، أخبرها في الطريق أنه قام بتقطيع الدفتر وألقىٰ به في القمامة، فارتاحت لأنها كانت تخاف أن يقرأ ما كتبت قبل أن تفعل ما فعلته، وصلا إلى المنزل ثم أدخلها إلى فراشها فنامت من شدة الإرهاق الذي كانت فيه، قالت له قبل خلودها للنوم أنها ولأول مرةٍ بعد فترة ستغفو وهي مطمئنة، قَبل رأسها وجلس بجوارها حتى غفا هو أيضًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هارلان

كُنا في طريقنا إلىٰ أسيل حينما كُنت أتفقد المكان، قال لي صاحبي أننا في محافظة تُدعىٰ الإسكندرية، سحرها مذهل، أنظر إلىٰ كُل شيء يقع أسفل ناظري، أندهش من كل منظر خلابٍ أمامي، كل الأشياء هنا على عكسنا تمامًا، الجو مختلف، الجميع يضحكون ويتحادثون، وكُل مَن يرانا يأتي ليلتقط الصور معنا، آهٍ لو يعلمون مَن هو هارلان! سيتركون المكان فزعًا وخوفًا، كان صديقي يجُرني جرًا حتى أسير معه للأمام، بعد ساعة مرت بسرعة وصلنا إلى مبنى ذي طراز قديم، قال «ر» أنه المكان الذي توجد به صديقته أسيل، تعجبت كثيرًا إذ أنها طبيبة ماهرة وهذا ما سمعه عنها، صعدنا إلى الأعلىٰ معًا حتى الطابق الثاني العلويّ، الأضواء لا تنير والجو مظلم جدًا، فسر لي صديقي هذا الشيء بأنها لا تريد تغيير الإضاءات، أو تريد ولكن لا تفعل، سألته عن مَن معها في نفس المكان لِمَ لا يغيرونها هم؟ فأخبرني أنه فارغ تمامًا، لا يوجد سواها في هذا الطابق، طرق «ر» الباب مراتٍ عدة حتى فُتح له، دلفنا

إلىٰ الداخل، سلمت علينا بجفاء وكأننا نجلس معها في كل الأوقات فهمس لي صديقي ألا بأس بهذا أيضًا فتلك هي شخصيتها وعلينا التقبل، بدأنا في الحديث بعدها مطولًا عما أُريد معرفته، سألتها عدة أسئلة فاتضح ليّ أنها ذكية جدًا، لن أستطيع أن آخذ ما أريد بتلك الطريقة مهما حاولت، أخبرتها بطريقة أُخرىٰ أن هناك مَن يتألمون في بلدتي، يريدون الموت بشدة ولكن يهابونه كثيرًا، فأريد أن أعرف عدة طرق أفعلها حتى أُلبي لهم احتياجاتهم دون الشعور بأي شيءٍ في البداية، وفي هذه النقطة تلاقينا، وجدتها تدلي بأفكارٍ كثيرة لفعل هذا، تتناقش معي حول كافة الأمور التي نستطيع فعلها، عرضت عليّ أيضًا أن آتي إليها بعدما أنتهى من هذا لأقص كل ما حدث أمامها، استشعرت أنها تتلذذ بسماع الأشياء التي تؤلم، وتبتسم عندما أقص لها ما حاولت فعله حتى أُنقذهم من هذا العذاب -الكاذب- بطريقة مؤلمة أكثر وفشلت، سار الحوار بيننا بشكلٍ جيد، واستمرينا فيه أكثر من خمس ساعاتٍ وصلت فيهم لكل ما أُريد، سألتني حينما انتهينا لماذا غُيِّر شكلي هكذا عن آخر مرةٍ رأتني فيها؟ ولولا أنها رأت ستيقن من بعيدٍ لكان كُشف أمري، أخبرتها أنني أجريتُ بعض عمليات التجميل فقط وكانت مؤلمة، وقلت الجملة الأخيرة خصيصًا حتى نأخذ الحديث لكم هي مؤلمة فيثيرها الفضول عما حدث وتتغاضىٰ عن أمر شكلي، اتفقنا في نهاية اليوم أننا سنتقابل مجددًا في نفس المكان حتى نتحدث أكثر في الأمر، وأخبرتني أنها ستقوم ببعض الأشياء وتجمع ليّ كل الطرق في ملفٍ ستبعثه على هاتفي المحمول، لذا تبادلنا الأرقام، أظن أنها ستكون صديقتي، نميل لنفس الأشياء في الأغلب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تستمتع ديِّم بوقتها منذ البارحة، تعيش في أفضل فترةٍ قد مرت عليها، يذهب حبيبها إلى عمله في الصباح ويعود في الليل الحالك، فتستغل اليوم من بدايته في النوم حتى تستيقظ عند مجيئه، عادت لحياتها الطبيعية مرةً أُخرىٰ وابتسمت كما كانت سابقًا، تعد الحساء بشكلٍ مميز في كل مرة يخطو حبيبها خطوة إلىٰ بابها، تأخذه وتذهب للتنزه كثيرًا قائلةً له: سأعوض بكَ أيامي الماضية.

كان يبتسم كثيرًا حينما تلقى مسامعه هذه الجُملة ولكنه لم يكن يعلم أنها أنانية منها، تأخذ ما تريد ثُم تتركه مجددًا، وهذا ما كانت تنوي فعله.

بين الحين والآخر كان آرام يزور عقلها وينبض قلبها له أيضًا، ولكنها تجاهلت كل تلك المشاعر في سبيل الوصول إلى سعادةٍ لحظية، تخطط حياتها لتبدأها بعيدًا عن حبيبها فيما بعد، تتعرف في تلك الفترة على أصدقاء جدد وتخلع ثوب العُزلة، وفي كل مرة كانت تقرر فعل هذا يقف حبيبها في الخلف يُصفق لها على تقدمها المستمر وتحسنها الذي ظهر على ملامح وجهها الجميل.

أما عن البلدة فما زال كل شيء كما هو، الجميع يعمل كثيرًا حتى ملّوا من كثرة العمل، وفي مساء يوم من أيام عملهم جاء أحد الضباط الجُدد لمكتب الضابط چيوم طارقًا بابه، أذن له بالدخول فدخل قائلًا: أبحث منذ يومين عن الضابط بوڤير ولا أجده يا سيدي، وأهالي البلدة قالوا أن مَن يتحدث معهم منذ الليلة الأولىٰ شخصٌ آخر جلبه السيد قبل ذهابه، ألا تعلم أين هو؟

تعجب چيوم كثيرًا مما سمع، كيف غاب السيد بوڤير عن البلدة وأين ذهب؟ وهو على علم تام بأن البلدة في حاجة كبيرة له، أخبر الضابط أنه لا يعلم مكانه، وأن يبدأوا بالبحث عنه فورًا حتى يعلموا أين ذهب.

خرج الضابط وترك چيوم في غرفته يُفكر في اختفاء بوڤير بتلك الطريقة دون إخبار أي أحد وقرر أن يبحث بنفسه عن سبب ذلك، كان الأمر غامضًا بالنسبة له وچيوم العزيز لا يُحب ترك شيء يخفىٰ عنه.

بدأ في البحث فور تفكيره بهذا، اتصل بالچينيرال ليسأل عنه بشكلٍ ماكر، وفي منتصف الحديث أخبره أن بوڤير قد عاد للمدينة لجلب بضع الأشياء للبلدة وأنهم لا يستطيعون الوصول إليه من حينها، أجابه الچينيرال أنه لا يعلم أي شيء عنه، لم يتواصلا منذ مدة بعيدة، فاستنتج چيوم أنه ليس في المدينة، فإن كان هناك لكان علم الچينيرال عن هذا بشكل ما، فسأله عن كيفية الوصول إليه فأعطاه رقم صديقه المقرب، كان قد أخذه منه قبل مغادرته للمدينة حتى إذا لم يجب عليه يهاتف صديقه، شكره چيوم كثيرًا ثم أغلق الخط مُعلنًا انتصاره على غباء الچينيرال، لم يلبث دقيقتين ثم هاتف صديق بوڤير فأجاب عليه بعدما اتصل بثانيتين قائلًا: مَن؟

أجابه چيوم قائلًا: أنا الضابط چيوم، زميل الضابط بوڤير، جلبت رقمك من مكان ما حتى أعرف منك إن كان لديك علم عن مكان السيد بوڤير صديقك، لأنه غائب عن البلدة منذ يومين تقريبًا ولا نستطيع الوصول إليه.

تنهد صديقه قائلًا: أهلًا بكَ يا سيدي، نعم أعلم أين هو.

تحدث چيوم قائلًا: إذن عليكَ إخباري.

صمت لبرهة ثم قال: حسنًا.

هو الآن غادر المدينة، لأنه ارتكب جريمة قتل بشعة، اكتشفت هذا عندما أخبرني أنه ذاهب للبلدة ليعلم من قتل آزر صديقكم، بعدها جاء لزيارتي وهو يتأفف أنه لا يستطيع أن يجد القاتل بعد، تحدثنا مطولًا حتى قال في منتصف الحديث دون دراية أنه يخاف أن يقول على شخص فعل ذلك ولا يستطيع وضع الأدلة كلها عليه، تشفيت من حديثه أنه القاتل ويبحث عن شخص ليضع له تلك التهمة البشعة، أخبرته من أربعة أيام أنني أريد أن أراه، جاء لي فأخبرته أنني

سأخبر الچينيرال بكل شيء، لم يهتم كثيرًا وتركني وغادر المدينة، قال لي نصًا: إن استطاعوا الإمساك بي، حينها يعاقبونني وغادر.

كان چيوم يستمع والصدمة تعلوا ملامح وجهه، فهو متأكدٌ أن السيد بوڤير لم يفعلها أبدًا، قال له وهو يتحرىٰ بدقة: هل هو فعل هذا فعلًا! أجابه بأنه متأكد مما يقول، شكره وأغلق الهاتف وظل يفكر مليًا ماذا يجعل بوڤير يفعل ذلك؟ ليس القتل، بل شيئًا آخر في رأسه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

"ر"

هارلان يستمتع بأجواء مصر جدًا، يجوبُ الإسكندرية من شرقها لغربها بحثًا عن الأماكن الأثرية، لم أكن أعلم أنه يهتم لهذا من قبل، الجزء الأول من الخطة قد تم منذ قليل، لذا هو سعيد جدًا في هذا الحين، ينتظر مرور الساعات بمنتهى الصبر حتى يذهب لأسيل مرةً أُخرىٰ وينهي كل شيء، هذه المرة الأخيرة بالنسبه له.

حينما أزف الوقتُ المحدد، نعود الآن للمبنى الموجودة به أسيل، أخبرني هارلان أنه سيخبرها بالحقيقة كاملةً، لأنه لاحظ عليها ذكاءها، إن اكتشفت هي الأمر دون أن يقول لها لن تساعده مجددًا، وهو ما زال يحتاجها.

صعدنا الدرج حتى وصلنا إلى أمام عيادة أسيل، طرقنا الباب فوجدناه مفتوحًا، دلفنا للداخل وجدناها تخرج من غرفة وعندما رأتنا أغلقتها بإحكامٍ وأشارت لنا أن ندخل إلى الغرفة الأُخرى، أثارت الغرفة المغلقة فضول صديقي، سألها عنها فنظرت له بجمود قائلةً: لا تتدخل فيما لا يعنيك يا سيد ستيڤن، أم ألقبك باسمٍ آخر؟

شعرت بارتفاع حرارته من مكان جلوسي، ولكنه امتص الحديث ثم بادر قائلًا: أرىٰ أنكِ قد اكتشفتها بمفردكِ.

فاجأته بردها: أعلم هذا مُسبقًا، ولكن أردت أن أساعدك، شعرت أنك بحاجتها.

بدا عليه الجهل بكيفية معرفتها هويته ولكن لم يهتم عندما أجاب قائلًا: إذًا لا حاجة من التمثيل الآن، أنا هارلان، تشرفتُ بمعرفتك مجددًا.

قصّ عليها كل ما يريد قوله، انتهى من حديثه ليجدها بنفس النظرات الجامدة، قالت له دون أي تردد أو خوف من ردة فعله: لديّ في الداخل جثة فتاة بالية، تريد أن تتذوق؟

نظر إليها نظرة إعجاب بحديثها، وسار باتجاه الغرفة على الفور، فعلمت جوابه وسارت خلفه لتفتح له الباب، أما عن «ر» فجلس لا يفهم ما يحدث، ثم

استوعب أنهم غادروا الغرفة فذهب إليهم، وجد صديقه هارلان يلتهم اللحم وهو يتلذذ، يأكل جزءًا ويشرب المياه ثم يكمل، كانت تملؤه نظرات الدهشة والخوف في ذات الوقت؛ لأول مرةٍ يرى صديقه يلتهم أحدًا، الأمر مرعب بالنسبة له.

بعد فترة طويلة من حديثهما المتواصل وهو يتناول وأخيرًا التهم آخر قطعة في رأسها وصارت الجثة أمامه عظمًا، شكر أسيل على هذه الوجبة الطازجة لم تُبدِ أي ردة فعل، خرجا من الغرفة وهو يقول لها: من أين أتيتِ بالجثة؟

نظرت له بملامح لا مبالية ولم تعطه إجابة، ففهم أنها لا تريد الجواب فقال: لا يهمني من أين أتت، لِمَ قُتلت فقط؟

نظرت بشرودٍ للعظام وهي تقول: لأنها تمنت.

لم يفهم كثيرًا ما تقصد ولكنه لم يكن يريد المعرفة بشكلٍ كبير.

انتهى اليوم بانتهاء حديثهم، فذهب كُلٌ منهما إلى الفندق الذي يسكنان فيه ليحصلا على قسط من الراحة لأن الغد هو آخر أيامهم في مصر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هلَّ صباح اليوم التالي في البلدة، كان چيوم يستعد للذهاب إلىٰ المخفر متحمسًا ليخبر الجميع ما علم، وكأن جميع مشاكله حُلت وسيتخلص ممن يُدعىٰ بوڤير نهائيًا، لا يحبه من يوم مجيئه وظن أن هذا الخبر سيسعد السيد يارون أيضًا بسبب عدم احترامه له في بداية ما جاء، ذهب مسرعًا إلى المخفر وعندما وصل أخبر أحد الجنود أن يخبر الجميع أن يأتوا لغرفة الاجتماعات بعد خمس دقائق، وذهب هو باتجاه غرفة السيد يارون ليجده قد وصل للتو أيضًا، أخبره أنهما سيذهبان إلىٰ الجميع في الغرفة المجاورة، سأله السيد عن السبب فأجابه أنه سيعرفه هناك، حتى تكون مفاجأة للجميع، سارا بجوار بعضهما باتجاه غرفة الاجتماعات، ومع كل خطوة كان يبتسم چيوم أكثر أنه سيهدم صورة القائد الجيد أمام الضباط الجُدد وسيرسله من هنا مُكبلًا.

وصلا فوجدا الجميع مجتمعًا، الغرفة مُكتظةٌ بالكثير من الجنود والضباط الجدد، جميعهم يقفون لانتظار ما سيقوله الضابط چيوم لهم، همهم ثم قال دون أية مقدمات: الضابط بوڤير خائن، هو من قتل آزر وهو القاتل هارلان.

صُعق الجميع مما سمعوا وبدأت الأسئلة تنهال عليه تباعًا دون توقف، ثار عليه الضباط الجدد قائلين: كيف تتهم قائدنا بذاك السوء؟ جاء هنا ليساعدكم لا لتضعوا له تهمًا ليست حقيقية، إن لم تجد القاتل لا تجلبها في شخص بريء.

ارتفع صوت چيوم عليهم قائلًا: لا تتغافلوا عن فرق الرُتب بيننا فتعلوا أصواتكم، قائدكم خائن وقاتل، يجب عليكم التقبل لا محالة.

أمسكه السيد يارون من ذراعه وخرج به إلى الطَرقة، وضعه وأمره لا يتحرك حتى يُهدئ الصوت داخلًا ثم يدخل حينما لا يسمع ضجيجًا حتى يُفسر تلك التهمة، لأنها ليست هينة أبدًا.

أومأ برأسه فتركه قائده ودلف للغرفة وحاول تهدأتهم بكافة الطرق، ولكنه فشل فشلًا ذريعًا حتى إذا قال لهم: سأجعله يأتي إليكم جميعًا بدليلٍ يُصمت أفواهكم ويُشبع عقولكم، فاستكانوا.

حينما لم يسمع چيوم صوتًا دلف مجددًا للغرفة، نظر إليهم وقال: لا يظل أحدٌ كما هو، الجميع يتبدل حاله بين ليلة وضحاها، الجميع من الممكن أن يُخطئ وبوڤير أخطأ وصار قاتلًا.

علمتُ هذا من صديقه المقرب الذي يسكن في المدينة، أخبرهم برقمه فعلموا أنه تحدث معه بالفعل، فقص عليهم ما دار بينهما وما قال صديق بوڤير، بدأت علامات الحيرة تعلو وجوههم حتى تفوه أحد الضباط قائلًا: لا أصدق هذا الأمر، سأنتظر حتى يعود قائدي لأتحرىٰ منه بنفسي.

وترك الغرفة مغادرًا لاستكمال عمله، فتبعه الضابطان الآخران ثم جميع الجنود.

انتهى اليوم بنهاية عادية، لم يرجع بوڤير ولم يكف چيوم عن البحث خلفه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مصر/ الإسكندرية.

اليوم الأخير لنا في هذا المكان، رغم أنني لا أحب ركوب الطائرات ولكني سأعاود الزيارة مرةً أخرىٰ، أحببت الأجواء كثيرًا وتعلمت بعض الكلمات الجديدة بالنسبة ليّ، صديقي أيضًا لا يريد الرحيل ولكن لا مفر، يجب أن ننتهي من تلك الأشياء التي حلت فوق رأسنا حتى نشعر بالراحة، ثم نعود مجددًا لنبقى هنا أطول فترةٍ مُمكنة، سنذهب بعد قليل لزيارة الطبيبة أسيل لآخر مرة، أخبرتني البارحة عندما هاتفتُها أن الطريق غدًا سيكون مزدحمًا لأنه «يوم الجمعة»، ويتسم هنا بالزحام الشديد، وأيضًا سيذهب لزيارتها غدًا الكثير من الأشخاص، فلو أمكن أن آتي قبل أن يكون الجميع قد حضر حتى ننتهي من حديثنا الذي لم يُغلق بعد، جاوبتها بالموافقة وأستعد حاليًا للذهاب، أخذت معي مصباحًا جديدًا كتذكار أتركه لها حتى أعبر عن امتناني، وهذا بعد تفكيرٍ طويلٍ فيما عليّ أن أجلب لها، لم أجد أفضل من هذا يساعدها على تركِ الكسل وإضاءة الطرقة أمام بابها، علّها تترك نظرات الجمود الخاصة بها، ويرتسم على وجهها أي شيء آخر.

لا أحبذُ إملاء الأوامر خاصة إذا كانت موجهة إليّ من طرف أي شخصٍ كان، فظهرتُ كنجم الحفلة الذي لطالما يأتي متأخرًا، آتاني صوتُ الطبيبة أسيل من مكتبها تخاطبُ شخصًا عاجلها بسؤالٍ بلغة إنجليزية بلكنة لا تشبهُ خاصتها قد استرعت انتباهي فورًا.

-حتى إن كانت من أمنيات هذا المريض شُربُ الدماء؟

اقتحمتُ مكتبها فجأة علم الرغم من سحب صديقي لذراعي راغبًا في طرق الباب.

ـ أسمع عن دماء هنا، هل تصنعون من مرضاكم نبيذًا؟

استدارت عدّة أزواج من الأعينِ لتنتهي بالتحديق في وجهي، رأيتُ أسيل بجانبها اثنان بملامح أجنبية رأيتُهَا في التلفاز، لم أسأل عن اسميهما ولم تذكرهم أسيل في حديثها فما ألقيتُ بالًا لهذه التفاصيل، حتى نظرتُ لها وهي تقول: ومرضى لم يستطيعوا التفكير سوى في الموت، فجلبتُه لهم... هل أنا مُخطئة؟

كدتُ أن أسارع بالإجابة قبل أن توقفني على حين غرة قائلة:

هل يُمكنكَ القدوم معي؟ أود إعطائك شيئًا ما.

نظرت في عيني بصمت دام حتى وقفتُ على قدمي لأتبعها خلال سيرها في الممر المؤدي لغرفة أخرى، اتجهت فورًا نحو ثلاجة ثم أخرجت منها زجاجة سوداء لم أتبين ما تحوي قبل فتحها واستنشاق الرائحة المحببة لقلبي، ارتسم على وجهي ما يشبه الابتسامة وأنا أرد جميلها بكلماتي قائلًا:

يبدو بأنكِ تجعلين من مرضاكِ نبيذًا فعلًا، أنتِ مدهشة!

قالت أنها هدية ولا تعلم ما تفعلُ بها إن لم تعطها لي.

بعدما عُدنا بدقائق ظهر من نفس الباب الذي ولجنا بأكملنا منه رجلٌ بملابس رسمية تشبه الضُباط، لم أتعرف عليه ومن الواضح أن هذا مشترك بيننا ككل، هببنا واقفين عندما طلب من الطبيبة المجيء معه للضرورة، نظرت إلينا بهدوء ثم أخبرتنا بانتظارها قليلًا إلى حين عودتها، ولكن هذه «القليلًا» امتدت لفترة أطول حتى تململ من يُدعى «إيقان» واستأذن لنفسه ورفيقه ذي العينين المسحوبة «هيون وو»، خلا المكان عليّ بصُحبة رفيقي « ر» لدقائق قبل أن أقف واقترب من مكتب أسيل لترك هديتي على سطحه، لا أنكر خيبة أملي من فشلي في إعطائها هديتي بينما استلمتُ خاصتها بسهولة ولكن لم تتسنَ لي الفرصة ويبدو أنها لن تعود قريبًا.

قُمنا أنا وصديقي «ر» من تلك الجلسة الشيقة حتى نذهب إلىٰ المطار، فطائرتنا تقلع بعد أربع ساعاتٍ، وما علمته هنا وجوب وجودك في المكان قبل إقلاع الطائرة بثلاث ساعاتٍ تقريبًا، بعدما مررنا بطريق طويل وصلنا إلىٰ الفندق أولًا لنحزم أمتعتنا، انتهى كل شيءٍ فأخذنا عربة وذهبنا باتجاه المطار، وبعد مرور حواليّ نصف ساعة نحن الآن أمام الطائرة صاعدين إليها حتى نعود إلى بلدنا، أودع مصر مع وعدٍ أنني سأعود مرة أُخرى.

بعد مرور الكثير من الساعات التي قضيناها بين النوم وتناول الطعام، والملل الذي ساد في الجو فجأة، كل الأشياء التي أُريد تخطيطها قد خططتها في طريق العودة، والآن أنا في مدينتي، على سريري، سأغفو لنصف ساعة وأعود بأخبارٍ سارة بعد ساعتين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الوقت قد تخطىٰ مُنتصف الليل، تجلس دِيِّم وحدها الليلة، حادثها حبيبها قائلًا أن الأمور قد تعقدت عنده كثيرًا ولن يأتي اليوم، وفي مساء اليوم التالي سيكون عندها، تقبلت الأمر دون حزن وقالت له أنها تنتظره غدًا، دقَّ باب منزلها عدة مراتٍ فقامت لتُجيب على السائل مع وجود علامات حيرة على وجهها، تسأل مَن سيأتي في هذا الوقت؟

أجابها السائل أنه شخصٌ يوصل لها طردًا ويعتذر كثيرًا على وجوده في هذه الساعة ولكن الطرد قد جاء من بلادٍ بعيدة، وصل الآن ولا يحتمل أن يظل للصباح، وكعادتها الفضولية فتحت الباب قائلةً أن يترك الطرد ويذهب، رفعت وجهها لأعلى فوجدته أمامها، ابتلعت لسانها من هول الصدمة وبرقت عيناها، لم تصدق أبدًا أنه هو، يُكتب على قميصه «هارلان» استوعبت الورطة التي هي بها، فثارت محاولة دفعه لتغلق الباب ولكن بحركة واحدة كان قد تعلمها من أسيل استطاع أن يجعلها تفقد وعيها، نصب كل شيء معه بعدما أجلسها على المقعد، بدأت أن تستعيد وعيها فضربها بالسكين في رأسها ضربةً أفقدتها حياتها، ثم بدأ بتقطيع باقي أجزاء جسدها ووضعهم في كيسٍ أسود بلاستيكيّ وهو يردد: الخائن هذه نهايته، وأنتِ كنتِ خائنة له مع شخصٍ غَبيّ.

انتهى من الأمر كله وهو ينظر بجمودٍ لها، لا تتحرك أي مشاعر داخله، وعلى عكس عادته لم يتناول شيئًا منها، أخذ الكيس ونظف المكان كله ثم عاد لمنزله، وضع أجزاء جسدها في ثلاجته حتى اليوم التالي، جلب حقيبة سفره ووضع الأجزاء فيها ثم أرسلها مع شخصٍ لحبيبها، كتب له عليها: أردت أن أُهديها لكَ، تذكارًا مني.

في نفس الوقت الذي عاد فيه بوڤير للبلدة، عاد ليجد كل مَن هناك ينتظره وينظرون إليه نظراتٍ عبثية، وصل إلىٰ المخفر واستقبله السيد يارون وقال

له أن هناك أمرًا بالغ الأهمية يجب أن يتحدثا فيه، ذهبا باتجاه غرفة الاجتماعات ومن خلفهم قد وصل چيوم وعلم بوجود بوڤير فذهب باتجاههما، دلفوا لها جميعًا وهم ينظرون إلىٰ بعضهم نظراتٍ مُريبة، قطعها هو عندما قال: أعتذر عن الغياب دون سبب، ولكن الآن يمكنني قول السبب لكما.

رد عليه چيوم قائلًا: لا نريد معرفته، فنحن نعلم الآن أنك القاتل الحقيقيّ.

لم يُبالِ بوڤير بما قاله مما زاد من الدهشة لدىٰ السيد يارون، أما عن چيوم فكان ينظر إليه نظرات انتقام وتوعد، ظلا صامتين ينتظران إجابةً منه ولكنه لا يجيب، دقيقة أخرىٰ مرّت وكانت جنود الچينيرال تحاصر المكان كُله، فُتح بابِ الغرفة فجأة وتدافع اثنان على چيوم يمسكان به، فقال بوڤير حينها ضاحكًا: هذا هو السبب.

خرج الجميع خارج المخفر كما أمرهم الجنود حتى يقوموا بالتفتيش، فوجود جُثة ديِّم مُقطعة كل جزء وحده في خزانة الغرفة لدى چيوم، خرجوا بها من هناك ليراها ويُسأل عن سبب وجودها في غرفته، نظر إليها عندما أمسكوا رأسها قائلين: ماذا تفعل جثة ديِّم في خزانتك؟ وعلى وجهه علامات الصدمة، لا يعلم هل يصرخ لأن حبيبته أمامه مُقطعه لأجزاء، أم يقول أنه لا يعلم من أين أتت!

لم ينتظروا إجابته وجروه خلفهم ليركب العربة ويذهب للمحاكمة، في ظل ذهول كل أهل البلدة وعدم استيعابهم لما يحدث، أمر السيد بوڤير الجنود أن تقف للحظة وذهب باتجاهه، مال على أذنه هامسًا: أنا مَن خططت كُل ذلك، حتى صديقي المُقرب كان شخصًا أوقفته وأعطيته مالًا ليقول هذا، كل شيء أنا المسؤول عنه لأقول للجميع..

صاح بصوتٍ عالٍ في تلك الجملة قائلًا: چيوم هو مَن قتل صديقه آزر لأنه أراد منصبه.

تجمد الجميع في أماكنهم ولم يكن السيد يارون قد استوعب الصدمة الأولىٰ حتى جيء له بالثانية، أكمل الجنود جره حتى أخذوه من البلدة، الجميع عاد لعمله عندما أمر بوڤير بهذا، والسيد يارون ما زال في حالة الصدمة ذاتها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هارلان

مر أسبوعٌ على ذلك الحدث الذي لم يكن مخططًا له بهذا الشكل، واليوم هو نهاية كُل شيء.

في المساء، أرتدي أفضل شيءٍ لديّ لأن حدث اليوم هام، أستقل عربتي لأول مرةٍ منذ مدة متجهًا للبلدة، تخفيت كثيرًا، فالوقت لم يحِن بعد أن تُكشِف

هويتَي، وصلت إلى المدخل الخلفيّ للمخفر، ولأنني أعلم مسبقًا أنهم يستريحون الآن سأدلف للداخل، أنتظر السيد يارون في غرفته.

أجلس هنا مما يُقارب النصف ساعة، كل شيء جاهز كما خططت له، الرائحة ستبدأ بالانتشار فور أن يُفتح الباب ويدلف السيد يارون إلىٰ هُنا.

الآن..

يُفتح الباب، أقف في آخر الغرفة والمصباح لا يضيء جيدًا، قد عطلته تقريبًا، دلف السيد يارون ليجدني أقف أمامه، لم تسمح له الفرصة أن يخرج الحرف الذي كان على وشك قوله فالرائحة التي جلبتها خصيصًا له قد جعلته يهتز، وقعت السكين من الأعلى على رأسه حيث وضعتها بالشكل الذي أُريد، أصدر صوتًا طفيفًا في نفس وقت سقوطه على الأرض ميتًا، أغلقت الباب باحكامٍ بعدما أغلقت أنوار الغرفة وأخذت جثمانه ورحلت من المكان.

كنت سأنسىٰ،

قبل رحيلي تركت أربعة سكاكين مُعلقةً في نفس الغرفة، أعلم أن بوڤير والضباط الثلاثة سيدخلون بعد نصف ساعة لأن لديهم اجتماع، قد أخبرني صديقي «بوڤير» بذلك، فنصبت له فخًا، لم يكن عليه أن يثق في قاتل مُتسلسل، غبيّ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد مرور خمس ساعاتٍ على هذا الحادث، تعالىٰ صوت المتحدثة في مذياع البلدة قائلةً:

فقدنا السيد بوڤير وثلاثة ضباطٍ جدد، تتوالىٰ الأخبار السيئة بعدما أُعدم القاتل چيوم منذ ساعة واحدة، أما عن السيد يارون فهو مختفي منذ ساعات عدة، لا نعلم أين هو.

كانت على وشك الإكمال عندما وجدت صوتًا مزعجًا يخرج من المذياع مرةً واحدة، حاولت أن تعرف أين الخلل في اللحظة التي تحدث فيها شخصٌ ما فيه قائلًا: نأسف على الدخول معكِ في الحديث دون إذن، عانيتُ قليلًا حتى استطعتُ أن أجعل هذا الشيء المُهترئ يتماشى مع الجهاز الذي جلبته لأتحدث فيه معكِ.

تحدث مستغربةً: مَن أنتَ؟

قال: أنا هارلان، وعليكِ الآن أن تتركي لي الحديث، كي لا تتبعي مَن فقدتهم تلك البلدة.

مرحبًا بكم أيتها البلدة الخائفة، السيد يارون قد قُتل وأنا مَن فعل به ذلك، سأمتنع عن قول الطريقة لأنها أبشع الطرق التي قتلت بها أحدًا، تعلمتها من صديقتي مؤخرًا، أما عن المبرر..

لا مُبرر سوىٰ أنه كان الشخص الأول الذي ذرع بذرة إجهاض كُل النساء حتى تتوقف البلدة عن النمو، بعدما تزوجت على من أُحب لأُنجب دون علمها، وفي النهاية علمت أُمي رغمًا عني، فلقت حتفها هي أيضًا، لن أطيل الحديث عليكم لأنني لا أُحبكم جميعًا، وداعًا يا قرية الجُرذان.

الجميع الآن قُتل، وأنا سعيدٌ للغاية.

مع محبتي:

آرام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«إهداء صادق»

هذا الإهداء ليس واجبًا يؤدىٰ ولا مجاملةً حتى يسعدوا، بل هو حديث صادق كُتب في لحظة سكينة وحُب شديدٍ لهم.

بدايةً..

إلىٰ أبي، أنتمي إليكَ دائمًا وأعلو بكَ إلىٰ القمم، ألمس أحلامي وتتحول إلىٰ حقيقة وأنا بجانبك، لا أنسىٰ حين قلت لي: امضي دون الالتفات خلفك -يا آمونة- واكتبي فقط، أنا معكِ.

إلىٰ أمي، استحقيتِ الكثير من الأشياء الجيدة ولم تناليها، ورُغم ذلك أعطيتها بملءِ الحُب، عشتُ معكِ لحظات ازدهاري، كنتِ المشجعة الأولىٰ رغم كل شيء، دفعتني إلىٰ الأمام وأظهرت فخركِ بي بصدق، تستحقين كل شيء جميل وكل الامتنان على مدار سنواتي التي سأقضيها معكِ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إلىٰ رؤى، أختي

كنتِ دائمًا بالجوار رغم المسافات بيننا، تقدمين ليّ كل ما أحتاجه وأكثر، تساندينني في لحظات الضعف، وتُحبيني في لحظات اليأس، تدفعينني إلىٰ الأمام حين أقع، أنا أحبكِ دائمًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

عن الكتاب..
الإهداء
المقدمة
«الفصل الأول»
الفصل الثاني
الفصل الثالث
الفصل الرابع
الفصل الخامس
الفصل السادس
«إهداء صادق»
الفهرس..